الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس–مستغانم–

كلية الأدب العربي والفنون

قسم: الدراسات الأدبية

شعر الطبيعة في العصر الأندلسي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

بلعالية نسيمة

إشراف الأستاذ:

أ/ بوغازي حكيم

السنة الجامعية: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس–مستغانم–

كلية الأدب العربي والفنون

قسم: الدراسات الأدبية

شعر الطبيعة في العصر الأندلسي

مـذكـرة تـخـرج مـقـدمـة لنيل شـهادة الماسـتر في

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

بلعالية نسيمة

إشراف الأستاذ:

أ/ بوغازي حكيم

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء الحمد لله الذي أعاننا بقدرته إلى أن نصل إلى ما نحن عليه ونتم عملنا هذا المتواضع.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساندنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " بوغازي حكيم " الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لي في إتمام هذه المذكرة، وأشكره على كل المجهودات التي بذلها ليضع العمل في أحسن صورة.

أن أشكر كل موظفي كلية الأدب العربي بجامعة عبد لحميد بن باديس – مستغانم – الذين بذلوا جهدا في سبيل تلقينا العلم النافع.

وكذلك لا أنسى عمال المكتبة الذين يسهرون على احتياجات الطلبة من مراجع التي ساعدتنا كثيرا في إنجاز مذكرتنا.

إلى كل من ساندني صغيرا وكبيرا على إنجاز هذه المذكرة

إليكم جميعا أقول بارك الله فيكم وجزاكم الله كل خير

إهداء

أيام مضت من عمرنا بدأناها بخطوة وها نحن اليوم نقطف ثمار مسيرة

أعوام كان هدفنا فيها واضحا وكنا نسعى في كل يوم لتحققه والوصول إليه مهما كان صعبا وها نحن اليوم وصلنا

وبيدينا شعلة علم وسنحرص عليها كل الحرص حتى لا تنطفئ وشكرا لله أولا وأخيرا على أن وفقني وساعدني على ذلك

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى القلب الحنون من كانت بجانبي بكل المراحل التي مضت من تلذذ ومعاناة

وكانت شمعة تحترق لتنير دربي **"أمي الغالية"**

وكما أن الفضل يعود أيضا إلى العابد الزاهد الذي سخر لنا كل قواه عونا لكي أصل إلى ما أنا عليه "والدي" حفظه

الله وأود أن أهدي هذا الإنجاز إلى أخوتي حفظهم الله ورعاهم وإلى الذي كان لها الفضل الكبير في انجاز هذا البحث

"بوغازي حكيم"

وفي الأخير أهدي تخرجي لكل من له بصمة في حياتي صديقاتي اللواتي وقفن بجانبي سواء بتشجيع أو بدعوة في وجهي أو

في غيابي لكم كل الود والاحترام

نسيمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

تميز الشعر بصفة عامة والشعر الأندلسي على وجه التحديد بالهيام والغرام في الطبيعة فراح يخلد محاسنها ومآثرها في مدونات شعرية أرخت بالفعل لمرحلة إبداعية وخرافية ومميزة في تاريخ المسلمين خاصة، من حيث المواضيع الشعرية الثرية، وكذا المواقع الجغرافية التي زخرت بها بلاد الأندلس.

وجسد شعر الطبيعة لحالة من العاطفة الجياشة والرومانسية التي تملكت الشاعر الأندلسي وشكلت همزة تواصل بينه وبين بيئته، في عديد المواضيع التي تحدث عنها، وبكل حب وهيام سواء ما تعلق بالأرض أو حتى ما يكنّه لمحبوبته.

ومنه طرحنا الإشكالية التالية:

ماذا نعني بمصطلح شعر الطبيعة؟ وما أثرة في الأدب الأندلسي؟

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيم المذكرة الموسومة ب:" شعر الطبيعة في العصر الأندلسي" تناولنا في الفصل الأول والمعنون ب:" الطبيعة في الشعر الأندلسي" يتضمن المبحث الأول: مفهوم شعر في التراث العربي، ومفهوم شعر الطبيعة، وكذلك شعر الطبيعة في العصر الأندلسي.

أمّا الفصل الثاني:" الطبيعة في نماذج من شعر ابن زيدون" تطرقنا فيه إلى السيرة الذاتية والعلمية للشاعر، وكذا أثر الطبيعة في شعر ابن زيدون.

وأنهينا المذكرة، بخاتمة خلصنا فيها إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

استخدمنا في المذكرة المنهج التاريخي، ذلك لأنّه الأنسب لمثل هكذا دراسة، ويظهر أثره في تتبع المسار التاريخي لكل من شعر الطبيعة في التراث الأندلسي، بالإضافة إلى التأريخ لحياة الشاعر.

وتكمن أهمية الدراسة فيما جادت به قريحة الشاعر الأندلسي "ابن زيدون" ومدى اسهامه في إثراء الشعر العربي ككلّ، واضفاء صبغة الابداع والتميز في مضمون شعره، وارساء معالم وآليات جديدة ومنظمة للشعر العربي.

وتتمحور أهداف الدراسة فيما تقدمه أو توضحه لنا كطلبة جامعيين في التخصص في مدى غنى وثراء الشعر الأندلسي، ومحاولة مبدعي وشعراء كل عصر بعده التعريف به والترويج له، بوصفة مادة دسمة تُلهم أقلام وألباب الأدباء والنقاد على حدّ السواء.

وقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل خلال عملية البحث والانجاز، نُجملها فيما يلي: الزخم المعرفي للمعلومات خصوصا فيما يتعلق بالجانب النظري، وهذا ما خلق لنا نوع من الضياع والتيه في تدوين المعلومة والإبقاء عليها نهائيا، وعلى النقيض منه صعوبة الحصول على المصادر الأساسية ورقيا وطول المدونة لهذا لجأنا إلى المكتبة الالكترونية بالتحميل على صيغة (PDF).

ولقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع والتي هي على سبيل المثال لا الحصر: ديوان ابن زيدون المعاجم اللغوية والمتمثلة في معجم لسان العرب لابن منطور، الكتب منها: جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ومن المجلات العلمية نذكر: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية وكذلك عبد الخالق بوراس، الشعر العربي القديم في أفق الرؤية في النقد العربي الحديث ومساءلة الوعي.

وفي الختام، لا يسعنا إلا نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من الأستاذ المشرف الفاضل على جميل صبره معنا وقيم نصائحه وتوجيهاته لنا طيلة فترة البحث، وللوالدين الكريمين على الدعم المعنوي والمادي لنا دائما وأبدا.

الفصل الأول

الطبيعة في الشعر الأندلسي

تمهيد:

يعتبر موضوع الشعر من أهم الموضوعات التي شهدت دراسة وتمحيص نوعا ما مبالغا فيه من قِبَل أهل الاختصاص والدارسين، وذلك لما يتضمنه هذا الفن أو المصطلح من ثراء لغوي وموضوعي شامل المعنى والفكرة وعلى أسس متينة وعلى مدار حقب تاريخية متعاقبة زمنيا ومكانيا.

وشهد الشعر ولازال مكانة مميزة بين الفنون والأجناس الأدبية المتعارف عليها وكان في العهد العربي القديم دستور ومنهاج القبائل العربية ولسان حالهم، ومرافقهم في حِلّهم وترحالهم.

بالإضافة إلى ما طرأ عليه بفعل الثقافات المتداخلة ونمط التجديد والعصرنة الذي عرفته مختلف فنيات الشعر، كلّ حسب عصره ومتطلباته الأدبية والموضوعية.

1. مفهوم الشعر في التراث العربي.

1.1. مفهوم الشعر:

وردت كلمة الشعر في عديد المعاجم اللغوية وشملت كذلك الجانب الاصطلاحي لهذا المفهوم، ونذكر:

أ. لغة:

نجد في لسان العرب لابن منظور مادة (شعر):" شَعَرَ به وشَعُرَ يَشْعُرُ شِعْرا وشَعْرا وشِعْرةً وَمَشْعُورَةً وشِعْرَى ومَشْعُوراء ومَشْعُورا(...) وأَشعَرَهُ الأَمْر وأَشْعَرَهُ به: أَعْلَمَهُ إيَّاهُ. والشِّعْرُ: منظوم القوْلِ، غَلَبَ عليه لشرفه بالوزْنِ والقافيّة".[1]

جاءت مفردة الشعر في معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس:" الشين والعين والرّاء أصلان معروفان، يدّل أحدهما على ثبات، والآخر على عِلْمٍ وعَلَم(...) الشعار: الذي يتنادى به القومُ في الحرب ليَعْرِف بعضهم بعضا. والأصل قولهم شَعرتُ بالشيء، إذا علمته وفطِنْتُ له".[2]

أمّا في " محيط المحيط " وفي التعريفات الشُّعورُ علم الشّيء علمَ حسٍّ أيْ إدراك الشّيء بالحِسّ الظّاهر، وشَعَرَ فُلانٌ وشَعُر أيضا شِعْرا وشَعْرا قال الشّعْر أو شَعَرَ (من باب نصر) قالهُ، وشَعُر (من باب فضُلَ) أجَادَهُ أو صار شاعرا".[3]

---

[1]: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص155.

[2]: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج3، دار الفكر، د.ط، د.ت، ص279.

[3]: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص400.

كما ورد في (مختار الصحاح):" شَعَرَ بالشَّيء بالفتحِ يَشْعرُ (شِعْرا) بالكسر فَطِنَ له. ومنه قولهم: ليت شِعْري أيْ لَيتَني عَلِمْتُ، والمِتّشاعِرُ الذي يتعاطى قول الشِّعر. و(شَاعَرَهُ فَشَعَرَهُ) من باب قطع أي غلبه بالشِّعْر. و(اسْتشعرَ) خوفا أضمرهُ".[1]

نستنتج من خلال هذه التعاريف اللغوية السالفة الذكر، أن كلمة "الشعر" في مجملها هي الشعور والاحساس بالشيء وكذا العِلم به.

ب. اصطلاحا:

- **عند القدماء:**

شهد مصطلح الشعر تعاريف كثيرة وذلك من أجل الالمام والإحاطة به جيّدا، فيّعرّفه "قُدامة بن جعفر" بأنه:" قول موزون مقفى يدلّ على معنى، وذكر أنّ الشّعر قد يكون جيّدا أو رديئا أو بين الأمرين، وأنّه صنعة ككلّ الصناعات يقصد إلى طرفها الأعلى".[2]

ويقول (ابن رشيق):" الشعر يقوم بعد النيّة من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافيّة فهذا هو حدّ الشعر؛ لأنّ من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنيّة".[3]

[1]: محمد بين أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص486.

[2]: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد2، ع2، 2020، جامعة الوادي، ص125.

[3]: المرجع نفسه، ص125.

أمّا في كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة قد قام بتقسيم الشعر، وذلك لقوله:" تدبّرت الشّعر فوجدته أربعة أضرب ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتَّشتَه لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب منه تأخرّ معناه وتأخرّ لفظه".[1] أي أن الشّعر ينقسم إلى أربعة أقسام، الأول ما اتفق لفظه ومعناه على الجودة، والثّاني هو جيّد اللفظ رديء المعنى، أمّا الثالث فهو ما كان معناه جيّدا وألفاظه ناقصة التّبليغ، والقسم الأخير ما كان لفظه ومعناه وجهان لرداءة واحدة، ويمكن بسط هذا القول فيما يلي:[2]

القسم الأول: جودة اللفظ + جودة المعنى.

القسم الثاني: جودة اللفظ + رداءة المعنى.

القسم الثالث: رداءة اللفظ + جودة المعنى.

القسم الرابع: رداءة اللفظ + رداءة المعنى.

- **عند المحدثين**: يقول (محمد عزام) عن الشعر:" هو أحد الفنون الجميلة وقد اختلف في وضع تعريف جامع له، فالعروضيون يؤكدون أوزانه، والمناطقة معانيه، والشّعراء تأثيره، والتعريفات الأولى للشعر نجدها تؤكد وظيفته الأخلاقيّة".[3]

[1]: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، ص125،126.

[2]: المرجع السابق، ص126.

[3]: عبد الملك بومنجل، المصطلحات المحورية في النقد العربي بين جاذبية المعنى وإغراء الحداثة، منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، سطيف، ط1، د.ت، ص19.

و" الشعر عند بعض الحداثيين العرب لا يتحدد بالوزن والقافية بل لا يتحدّد بشكل ايقاعي مسبق، بل لا يتحدّد بخاصيّة وقانون. "الشعر" هو ما يقوله " الشاعر" وحسب: فإذا قال الشاعر نثرا فهو شعر لا نثر".[1]

ويُعرفُ كذلك، على أنّه:"كلام مخيّل مؤلف من أقوال موزونة متساويّة وعند العرب مقفاة".[2]

أمّا المعاصرون، فعبّروا بأنّ:" الشعر تراث جماعة لا صناعة شعراء أو مؤلفين والشّعر حريص على ما نسميّه الصورة، والصورة تشكل المادة. كما أنّ الصورة تقترب من فكرة الجماعة والجماعة هي الحكمة وقوة غريبة ونادرة، ومن أجل فكرة الجماعة كانت العناية بنظام اللغة".

2.1. مفهوم الشعر في اصطلاح أدونيس:

لقد ألهم الشعر العربي القديم وخاصة الشعر العباسي جلّ فكر وأقلام الأدباء العرب والعجم الذين راحوا يكتبون عن الشعر العباسي منبهرين بإبداعات شعرائه فنيا وموضوعيا.

يحاول "أدونيس" القبض على مفهوم الشعر من خلال تعريفه وشرحه للشعر العباسي أولا، والاعجاب ببعض شعرائه من مثل " بشار بن برد" و " أبو نواس" و " أبو تمام" فتراه يقول: " لم يعد الشعر، بمعنى أخر، للفائدة والمنفعة بقدر ما أصبح عاملا إبداعيا داخليا يجد فيه الشاعر تعزيته وخلاصه".

[1]: المرجع نفسه، ص19.

[2]: المرجع نفسه، ص19.

فبعد أن اكتسى الشعر حلة دينية في صدر الإسلام، وصار وسيلة لنشر الدين الإسلامي، وتقريب صورته لدى الناس، والدعوة الى الأخلاق السامية، عاد هذا المفهوم الى التراجع، واكتسب مصطلح الشعر مفهوما مغايرا- بداية من العصر يقوم على الابداع والشعرية، يعبر عن ذات الشاعر، فيتملص من وظيفته السابقة.

ليركز على أن المبدع فقط، وهذا ما يوضحه كذلك قوله:" صار الشعر يقوم على حضور الأنا وغياب الاخر، أي على الطرافة والجدة والغرابة، أي أن تغييب الاخر، كان له دور كبير في تغيير مفهوم الشعر الذي أصبح خاضعا للأنا، - أنا الشاعر — وبالتالي العزوف عن النمطية، ومواكبة التفرد والتميز، والوقوع في دائرة الابتكار والتجديد ونزع المألوفية، وتجاوز التصنع.[1]

وكتعقيب على ما سبق ذكره، نقول بأن الشعر العربي عرف مسايرة ومواكبة لمختلف الأحداث التي جرت في فترات متباينة في البيئة العربية، ففي صدر الإسلام كان للشعر وظيفة خاصة به ليقوم في العصور المتلاحقة بما يمليه ظرف ذلك العصر.

ويقول أيضا ' إن الشعر صار فنا، أي أصبح لدى الشاعر، بالإضافة الى هاجس التعبير، هاجس جديد هو كيفية التعبير، فلم يعد الشاعر' قبل كل ما يناجيه به طبعا'، ومنها ان الشعر صار

[1]: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، ص128.

نظرا في الحقائق، أي صار موقفا، ومنها أن للشعر باعتباره فنا، خاصية جوهرية هي التجاوز المستمر والتطلع الى أفاق أكثر اتساعا وجدة، فلا يملك قياد الفنان" الاعجاب بما يأتيه".[1]

نستشف من هذا القول أن الشعر – باعتباره فنا – أضحى متسائلا مستفسرا، مهمته الوصول الى حقائق جديدة، بكيفيات جديدة، بنظرة استشرافية تحاور المستقبل، وتناجيه مما يترك أثرا قويا في نفسية قارئه، فهو" فن يتطلع ويتخطى"، وهذا من أهم ميزاته، الاستمرارية وعدم الخضوع للزمن، يبدع ويتجاوزه الى إبداع أخر، وهو ما نجده عند أبي تمام الذي كسر القالب التقليدي في كتابه" الشعر" وأطلق العنان لخياله" فالشعر بالنسبة إليه، عالم غريب من المعاني" الغرائب والعجائب، وهو كالنجم بعيد قريب، وهو سحر وبكارة وسراب مخادع.

فالشعر لديه شبيه بالسراب المخادع، الذي لا يوشك القارئ يفك طلاسمه حتى يفر المعنى مرة أخرى ليشكل معاني جديدة ومغايرة حينا، ومعاني غريبة عجائبية حينا آخر، ويقصد بذلك استلهام الشعر بداية من الواقع ليحلق به الشاعر بعد ذلك في عوالم غيبية ميتافيزيقية.[2]

وارتبط الشعر بمختلف أساليب الحياة اليومية للفرد بسلبياتها وإيجابياتها وعاش في دواخل النفس والحياة برمتها، إذ أضحى المرآة العاكسة للمجتمع والشاعر وانتقل من مرحلة الفن والابداع والأُنس

[1]: المرجع نفسه، ص128.

[2]: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، ص129،130.

إلى الغوص فيما وراء العالم من أمور تجهلها النفس البشرية ولكنّها تعمد إليها عن طريق أسلوب الغرابة ونمط الأسطورة والطلاسم.

فقد "كان الشعر قبله قدرة على التعود والألفة، فصار بعده قدرة على التغرب والمفاجأة وهنا يشير أدونيس الى تلك الفترة التاريخية التي تحول فيها وخلايا الشعر من شعر يلقى فطرة لمحاكاة الواقع والحياة الاجتماعية، ويحلق في عوالم جديدة مبتكرة في خيال الشاعر – ويقصد بذلك الشعراء العباسيين، وبالتحديد أبا نواس – فيقول:" إن شعره هو فن يجعل الزمن كله حاضرا يتطاول ويشع: زمنا ثانيا، رديفا آخر للزمن، هو زمن النشوة والهيام: الزمن النواسي بامتياز"، شعر يسابق عقارب الزمن والتاريخ، ليصنع مجده في زمنه هو، زمن الكتابة الخالدة زمن لا يطاله عبار الأولين، ولا براعة المتقدمين.

كما أن " شعره اكتشاف للأشباه والنظائر بين الإنسان وصفاته والعالم وصفاته" وهو متأثر بالطبيعة الأم الملهمة، حين يحاول إيجاد المقابلات والنظائر بين دواخل النّفس وعنّاصر الطبيعة. ويواصل أدونيس إعطاء مفاهيم للشعر على لسان أبي نواس، فيقول:" إنّ شعره سير نحو تحقيق حلم عميق يكون سحريّ لا يشعر فيه الإنسان أنّه متميّز عن الأشياء كون تبقى في السيّادة للروح.[1]

كانت لمصطلحات الشعر والانسان والطبيعة مفاهيم ومرادفات مترابطة ومتماسكة فيما بينها عند الشاعر أبي نواس ومختلف شعراء عصره، مخلفة بذلك وكذا من قبله إن صح التعبير

[1]: المرجع نفسه، ص130.

هذا الإحساس العميق بالعلاقة بين الماديّ والروحي، بين العقل والغريزة. بين الصّحو والغيبوبة. بين الخمرة والفرح. بين الحبّ الجسدي ونشوة الرّوح، وهو شعور بوحدة الحياة النفسيّة وهو من أهم الكشوفات الشعريّة في الشّعر العربي".[1]

3.1. الشعر العربي بين القديم والجديد:

كان الشعر العربي القديم صورة عن الحياة العربية بكل تنويعاتها حتى سمي ديوان العرب لأنّه جمع في ثناياه تاريخ العرب وأيامهم وعاداتهم وموروثاتهم كافة؛ وكان بمثابة الناطق الرسمي باسمهم والمعبّر عن وجدانهم ووجودهم ولذلك كان الاهتمام به أكثر من أي جنس أو نوع أدبي آخر إبداعا ونقدا، وحوله دارت أغلب المواقف والاجتهادات النقدية القديمة. ويستطيع الباحث عن الثقافة العربية أن يجدها في الشعر، فهو مرآة الثقافة وذلك لأنّه كان الهمّ الثقافي الأول. كما أنّه كان المصب الذي تصب فيه التنظيرات والاجتهادات النقديّة المختلفة.[2]

ومن أبرز القضايا النقدية التراثية نذكر قضية عمود الشعر واللفظ والمعنى والسرقات الشعرية وهذه الأخيرة هي الألصق بموضوع بحثنا من جهة دلالتها على العقل الثقافي؛ لأنها تفسر لنا كيف أن الثقافة عرفت منذ القديم وعيا مأزوما بالشعر؛ فهي التي راوحت بين عدّة طروحات بشأن معنى الشعرية أيكون في الاتباع أم في الابتداع؟. فإذا كان الشعر تجربة خاصة فكيف يمكن له أن يتخلص

[1]: مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، ص130.

[2]: عبد الخالق بوراس، الشعر العربي القديم في أفق الرؤية في النقد العربي الحديث ومساءلة الوعي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد4، ع4، ديسمبر2021، جامعة تبسة، ص702.

من التقليد مع أن الطرح الرسمي للخطاب النقدي القديم يرتكز حول التقليد في مسمى نظرية عمود الشعر، والإحراج يتعلق هنا بالامتثال للقوالب والمعاني القديمة، وما يمليه الوعي واللاوعي الثقافي على الشاعر من صياغات ناشئة عن البيئة الاجتماعية في لا تاريخها النسبيّة.[1]

وهنا أيضا يطهر التوظيف الثقافي لمسألة السرقات الشعرية التي جعلت الشعر عند كثير من القدماء يتوقف عند حدود الابتكار الأصلي للشعراء الأوائل، مع ما يبدو من صراع بين مدرستي البديع والتقليد أو القديم والجديد حول ابتداع المعاني والصور الشعرية والتي لم تجاوز هي الأخرى معضلة المحاكاة المفروضة في النسق النقدي التقليدي، ومن المعروف أن النقاد يقسمون الشعراء إلى المدرستين السالفتين، بحيث:" في الأدب عهدان طويلان يشطرانه شطرين، عهد القدماء وعهد المحدثين ويبتدئ عهد القدماء بنضوج الشعر العربي قبل الإسلام بقرن أو نحوه، وينتهي في أوائل القرن الثاني...أمّا عصر المحدثين فبدؤه قبيل قيام الدولة العباسية. بدؤه في الواقع من عهد بشار ومروان بن أبي حفصة ومطيع بن إياس وغيرهم من مخضرمي الدولتين".[2]

[1]: المرجع نفسه، ص702،703.

[2]: عبد الخالق بوراس، الشعر العربي القديم في أفق الرؤية في النقد العربي الحديث ومساءلة الوعي، ص703.

2. مفهوم شعر الطبيعة.

شعر الطبيعة يعني وصف مظاهر الكون بما فيه من أشجار، جبال، أنهار، ليل نهار عيون الماء، ولكل إنسان طريقته في التعامل مع هذه المظاهر الكونية، فكانت هذه المظاهر المختلفة مصدر إلهام لهم على مرّ العصور، ومن هنا يمكن تعريف شعر الطبيعة بأنه الشعر الذي يختص بوصف وتصوير مظاهر الطبيعة المختلفة الحية وغير الحية وينقل مشاعر الإنسان اتجاهه.[1]

نستنتج من خلال هذا التعريف، أن شعر الطبيعة مأخوذ من الطبيعة التي كانت ولا زالت ملاذا فنيا يتسم بالجمال والالهام الخالص، يسمو بالنفس البشرية نحو البهاء والصفو النفسي ويُحيل قلم وفكر الشاعر نحو التميز والابداع.

شعر الطبيعة هو الغرض البارز من أغراض الشعر الأندلسي لأن للطبيعة صدى واسعا في حياة الإنسان العربي في مشرقه ومغربه، وتأثيرا بليغا في ثقافته وفكره، فقد ظهر وصف الطبيعة والتغني بها في الشعر العربي ونثره.

فالشعر العربي وجد في الطبيعة ملاذا خصبا لقريحة الشاعر العربي يلتجئ إليها ويعبر من خلالها عن أحزانه وأفراحه معا، فوصف الطبيعة ظهر في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، حيث تغنى الشعراء بصحرائهم وتفننوا في وصفها غير أن هذا الوصف لم يتعدّى الجانب المادي، أما في العصر الأموي

[1]: جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ص25.

وبانتقال العرب المسلمين إلى البلدان المفتوحة وارتقاء حياتهم في شتى مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فزاد هذا الازدهار والتطور في وصف الطبيعة ووصف المظاهر المدنية والحضارية والتفنن فيها.[1]

واستطاع فحول الشعراء في ظل الدولة العباسية أن يضيفوا إلى الأوصاف المادية حسنا وذوقا فالتفتوا إليها، وبادلوها عاطفة بعاطفة وحبا بحب، ومن أشهر هؤلاء الشعراء نذكر: "أبا تمام"، "ابن الرومي"، "ابن المعتز"، "الصنوبري" ونورد على سبيل الاستشهاد أبياتا للشاعر الكبير "البحتري"* يقولها في وصف الربيع:[2]

أتَاكَ الرّبيعُ الطّلق يَخْتالُ ضَاحكاً مِنَ الحُسْنِ حَتَّى كادَ أنْ يَتَكلّمَا

وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبيعُ لِباسَهُ عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرَتْ وشْياً مُنمنِماً

فقد وهب الله أهل الأندلس طبيعة ساحرة جبالها خضراء وسهولها جميلة وتغريد طيورها على فأشجارها يزيدها رونقا وبهاء والمظاهر الفنية التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس، وقد انعكس ذلك في شعر الأندلس بشكل عام، حيث ازدحم بصور متنوعة ملونة تمثل البيئة الطبيعة في هذه

[1]: المرجع السابق، ص25.

[2]: إيليا الحاوي، سرح ديوان البحتري، الشركة العالمية للكتاب، ج1، بيروت، لبنان، ط3، ص183.

*: البحتريُّ هو الوليدُ أبو عبادةَ، أو كما قِيل في بعضِ الرواياتِ أبو الحسن، وشهرتُه البحتريّ؛ نسبةً إلى جدّه الثاني عشر (بحتر)، وُلِدَ عامَ ثمانمئةٍ وواحدٍ وعشرين للميلاد في مدينةِ منبجَ الجميلةِ الواقعةِ بين نَهرِ الفراتِ، ومدينةِ حلبَ في بلادِ الشام، أمّا وفاتُه فقد كانت عامَ ثمانمئةٍ وسبعةٍ وتسعين للميلاد

الرقعة المسماة بالأندلس، ومن هنا تشكلت صورة الأندلس في الأذهان متقاربة في أوصافها وألوانها هذه الصورة تأخذ عطرها وعبقها وملامحها وألوانها من الطبيعة فهي أقرب إلى لوحة فنية ناطقة، وهذا بلا شك ما جعل الطبيعة من أبرز أغراض الشعر عند الأندلسيين حيث تهيأت لهم أسباب الشعر ودواعيه فشغفت بها القلوب وهامت بها النفوس.[1]

ولم تكن الطبيعة العامل الوحيد في ازدهار شعر الطبيعة في الأندلس بل هناك عوامل أخرى يأتي على رأسها ازدهار الحضارة العربية في ذلك البلد ازدهارا كبيرا، حيث شمل جميع جوانب الحياة الأندلسية بالإضافة إلى ازدهار مجالس الأنس والبهجة واللهو، حيث كانت هذه المجالس تعقد في أحضان الطبيعة وأيضا حياة المجتمع الأندلسي أثرت في هذا الشعر الذي يمثل تعلق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات.[2]

[1]: إيليا الحاوي، سرح ديوان البحتري، ص183.

[2]: المرجع نفسه، ص183.

1.2. مميزات شعر الطبيعة.

لقد اشتهر الأندلس بطبيعتها الفاتنة في جبالها وسهولها وأنهارها وأزهارها ورياضها وطيورها وهي طبيعة خلبت ألباب السعراء فتغنوا بمفاتنها ومشاهدها، باثين فيها عواطفهم ومشاعرهم ولعل ما زادهم شغفاً بها اختلافهم إلى المتنزهات والحدائق المحيطة ببلدانهم.

يقول صاحب معجم البلدان:" أمّا الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر....تغلب عليها المياه الجارية والشجر والسعة في الأحوال".[1] منح الله الأندلس طبيعة فاتنة فكانت أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً. ترتفع فيها الجبال الخضراء وتمتد فيها بطانها السهول الواسعة وتجري فيها الجداول والأنهار وتغرد على أفنان أشجارها العنادل والأطيار، وتنساب الماشية والأنعام في مراعيها الجميلة ويعمل الفلاحون في حقولها الخضراء ويعطر النسيم جوها المعتدل وبساتينها المشرقة، وقد تحدث عن جمالها كلّ من حلها، وأفاض المقري في وصف طبيعتها الفتانة وجنانها البهيجة، وانتهى إلى أنّ محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة ومجاري فضلها لا يشق غباره.[2]

وقد حبا الله الأندلس بطبيعة ساحرة كانت مرتعا خصباً ينهل منه الشعراء صورهم ومعانيهم وأخيلتهم الزاخرة بالجمال، فتؤطر رؤاهم وتفتن إحساسهم المفعم بالحياة وذلك بما تحويه من حسن بهيّ جسّدته

[1]: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، ج1، ص200.

[2]: محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص33.

الجبال الخضر والأنهار والأشجار وطيب النسائم فضلا عن ذلك، فإنّ طبيعة التكوين النفسي للأندلسيين وشدّة تعلّقهم ببلادهم وافتنانهم ببيئتهم ساعد على نموّ شعر الطبيعة، بل أصبح سمة يتَّصف بها الشعر الأندلسي، ويتفوق بها على المشرقيّ فكان من الطبيعي أن يزدهر وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي، لخصب المجال ووفرته وتعلّق أهله به، خصوصا أيام استقرارهم النفسي والسياسي.[1] وقد كان من أثر جمال الأندلس أن شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس، فتعلق بها الأندلسيون جميعاً، وأقبلوا يسرحون النظر في خمائلها ويستمتعون بمفاتنها ما شاء لهم الاستمتاع، وأخذ الشعراء والكتاب ينظمون كلامهم درراً في وصف رياضها ومباهج جنانها بعد أن فتحت في نفوسهم قول الشعر وجعلتهم يروونه فيها كما يقول " ابن خفاجة "[2] أنّ الأندلس جنة الخلد بمائها وظلها وأنهارها وأشجارها، يقول:

يَـــــــا أهلَ أَنْدَلُـــسٍ لله دَرُّكمُ ماءٌ وظلٌ وأنهَارٌ وأشْجَارُ

مــا جنةُ الخُلدِ إلاّ في ديــارِكُـــمُ ولو تخيّرتُ هذَا كُنْتُ أَخْتَارُ

وقد ملكت معاني هذا الجمال نفوسهم واستحثت قرائح الشعراء فيهم وغذّتها أفضل غذاء وكان يكفي أن تهبّ على ساكن هذه الجنة نفحة من نسيم عليل ليصبح مع شاعرها ابن خفاجة:[3]

---

[1]: المرجع السابق، ص33.

[2]: أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ أبي الفَتح بن عبد الله بن خَفاجةَ الأَندلسيّ، وُلِد في العامِ أربعمئةٍ وخمسين للهجرة (1058م) في جزيرةٍ أندلسيّةٍ تُسمَّى شَقَر

[3]: فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2009، ص20.

إنَّ لِلْجنةِ في الأنْدَلسِ مُجْتَلَى حُسنٍ وَرَيَّا نَفسِ

فَسَناَ صُبْحَتِهَا مِنْ شَنَبٍ وَدُجَى ظُلْمَتِهَا مِنْ لَعَسِ

فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَباً صِحْتُ: وَا شَوْقِي إلَى الأنْدَلُسِ.

أثار ذلك البُعدُ مكامن وجده وشوقه فاسترجع تلك الأيام الخوالي متلهفاً متحسّراً على ضياعها، وما اختزنته ذاكرته من لوحات طبيعية ملوّنة ظلّت راسخة ماثلة أمام ناظريه؛ فكانت باعثاً قوياً من بواعث الشعر، لها في نفوس الشعراء وقع عميق الأصداء بعيدها.

لذا يمكن القول إنّ وصف الطبيعة في الأندلس كان على الغالب الأعمّ، شغفاً بمحاسنها وتصويراً حسيّا لمباهجها، تموج به بين حينٍ وآخر، خفقة من حياة ودفقة من عاطفة صادقة. وتظهر قيمة وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي حين تصبح اللوحة الطبيعية بألوانها ومباهجها مقدمة لقصائدهم، مستعيضين بها عن مقدمات الغزل وغيرها من الأغراض الأخرى، فأكثروا من أوصاف الورد والأزهار وتغنّوا بالرياض والأنهار، وبكلّ مظهرٍ من مظاهر الجمال.[1]

وقد قسّمت الدراسات الأدبية شعر الطبيعة تقسيماً ينسجم مع المفهوم العام لمعنى كلمة الطبيعة، وهي بمجملها تكون على صنفين: الطبيعة الصامتة، والطبيعة الحيّة.

- **الطبيعة الصامتة:** يقصد بالطبيعة الصامتة مظاهرها ووجودها المتجسد في سهولها وبحارها وسمائها وبواديها وحدائقها وحقولها وما إلى ذلك، وهي ممثلة بما تحويه الطبيعة من رياض

[1]: ينظر: المرجع السابق، ص20،22.

وزهور وأنهار وأبنية وقصور، بحيث شكلت الزهور ملمحاً واضحاً في الشعر الأندلسي ولم تخلُ قصيدة أندلسية من وصف الزهور، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ذلك قول " ابن شكيل "[1] في وصف سوسنة:[2]

سَوسَنَةٌ بَيضاءُ قَد أَودَعَــت شَقــيقَةُ قــانِيَةَ البُرِدِ

أَبيَضُـــــها عَن أَحمَـــرِ كَالبُرقُعِ اِنشَقَّ عَنِ الخَدّ

يقتضي الشاعر في استعراضه للطبيعة الأندلسية وصف زهرة السوسن البيضاء ويجسّدها من خلال الإفادة من التداخل اللوني بينها وبين شقيقتها قانية اللون، فيشبه هذا التداخل بانزياح البرقع عن خدّ المرأة الحسناء.

وفي موضع آخر يصف ابن حمديس* " النيلوفر" فيقول:

وَنَــيْلُّــوفَرٍ أَوْرَاقُـــهُ مُسْتَديرَةٌ تَـفَـتـحَ فـيما بـينهنّ لَهُ زَهْرُ

كَما اعتَرَضَتْ خُضرُ التّرَاسِ وَبَينَها عَــوامِـلُ أَرماحٍ أَسِنَّتُها حُمرُ

هُوَ ابْنُ بِلادي كَاغتِرابِي اغتِرَابُه كِلانا عَنِ الأَوْطانِ أَزْعَجَهُ الدَّهرُ

[1]: أحمد بن يعيش بن شكيل الصوفي، أبو العباس، شاعر متصوف أندلسي، من أهل شريش، له (ديوان شعر) قال ابن الآبار: توفي معتبطاً (أي بلا علة).

[2]: أبو العباس ابن شكيل الأندلسي، شعره، تقديم وتحقيق: قارة حياة، المجمع الثقافي للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2001، ص56.

*: ابن حمديس الصقلّي هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلّي الأزدي، وهو شاعر أندلسي من أصل عربي، وقد وُلد ابن حمديس في عام 447هـ في مدينة سرقوسة، توفي ابن حمديس في شهر رمضان في عام 527هـ،

يسعى الشاعر إلى إظهار التداخل اللوني والتضاد الحركي في بسط فكرته التي تناول فيه زهرة النيلوفر وهي تتفتح على هذا العالم، على الرغم من انغلاقها واستدارتها، وعزز الشاعر صورة النيلوفر المتفتح من خلال مقاربته بمشهد الحرب الذي أخذ منه أدواته: الترس، الرمح، إذ أضفى عليهما ألواناً زاهيةً صريحة مثل: الأخضر والأحمر، ليوائم بين النفس والطبيعة الصامتة ويجعل للإنسان من صفاتها.[1]

وقال ابن حمديس كذلك يصف الخمر في ظلال الطبيعة:

نحن في جنةِ نباكِرُ منْـها سَـاحِلي جدولٍ كَسيفِ مُجَرَّدِ

صَقَلَتْ مَتْنَهُ مداوِسَ شَمْسٍ مِنْ خِلالِ الغُصُونِ صَقلاً مُجدّدِ

فعلى ضفاف الجداول والتي تصقلها أشعة الشمس فتبدو كالسيف الذي يلتمع ويبرق وأشعة الشمس من خلال غصون الشجر الوارف تزيده لمعاناً وبريقاً، في هذا الجوّ المشبّع بالجمال والحُسن والخضرة والماء كانوا يتناولون البكور، وهي خمر الصباح.[2]

ومن مواضع ذكر الأزهار واقترانها بالغزل، قول "ابن زمرك"* الأندلسي يصف أزهاراً متعددة يقول فيها:

ترقرقَ دمعُ الطلّ في لحظِ نرجسٍ ** فكم مدمـعٍ للعاشـقينَ بـهِ طُلاّ

وآسُ عـذارٍ فـوق ثغـر إقاحةٍ ** يُقبّلُ خدَّ الورد في الوجنة الخجلى

[1]: أبو العباس ابن شكيل الأندلسي، شعره، ص56.

[2]: حافظ المغربي، دلالة اللون في الشعر الأندلسي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2002، ص80.

يحيل الشاعر الصفات الإنسانية على الأزهار عبر آلية التشخيص فيجعل دمعها يترقرق في عيون النرجس والآس، والتي تكشف عن حالات التحوّل في الحزن والعشق فكلاهما يظهر فيه اللون بصورة مغايرة عن الأخرى، وقد جسّد الشاعر الألوان في هذا المشهد بصورة جميلة من خلال تداخل الطبيعة الممثلة بالطلّ، والنرجس مع الصفات الإنسانية من دمع، وأكدّ هذا التداخل في البيت الثاني حينما قرن بين الآس والإقاح من جهة، وبين العذار والثغر من جهة أخرى.[1]

أمّا " ابن صارة "* فيختار من الطبيعة شقائق النعمان لتكون محور لقصيدته التي يقول فيها:

هذا الثناءُ إلى زَمانٍ مُــشرقٍ أهدى إليكَ شقائقَ النُعمانِ

قامت فُرادى فَوقَ سوقِ زبرجدٍ صِيغَت عَليه جَمَاجمُ العُقيانِ

يــهفــو بها مرّ الــنسيمِ كأنّها حُــمــرُ البِنودِ نُــشرنَ في ميدانِ.[2]

ينقل الشاعر إعجابه بهذا الزهر إلى المتلقي بصورة جميلة من خلال ذكر القرائن التي تبيّن أثر اللون الأحمر في المشهد الطبيعي، وهو يستقي بعض ألفاظه من مشهد الحرب الدامي للدلالة على القوة التي

[1]: المرجع نفسه، ص80.

*: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، ابن زُمْرَك، ولد بزَبض البيّازين من غرناطة وتوفي سنة 795هـ.

[2]: حافظ المغربي، دلالة اللون في الشعر الأندلسي، ص81.

*: القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي البلنسي السبتي .وبنو تجيب من السكون من كندة .جغرافي ورحالة، أندلسي. ولد سنة 666هـ، 1367م، توفي حوالي سنة 730 هـ 1329م عن عمر بلغ حوالي الستين سنة.

*: ابن صارة الشنتريني: أبو محمد عبد الله بن محمد بن صارة البكري الأندلسي الشنتريني، الشاعر المشهور، كان شاعراً ماهراً ناظماً ناثراً، له ديوان شعر أكثره جيد، توفي بالمرية عام 517هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص193 – 195

يتمتع بها زهر شقائق النعمان بما يحويه من لون مميز، والزهر بشمائلها: لونها، رائحتها، لفظة تنقل المعاني، وبخاصة ما يخاف افتضاحه وهي بكلمة لا تنطق بالتعريض والتصريح، ولكن بالشمائل والهيئات.

أما الرياض فقد تبارى الشعراء في وصفها، ومن ذلك قول "التجيبي"* يقول فيها:

جاد الربى من بانة الجرعاءِ نوآنِ من دمعي وغيم سماءِ

هل نلتقي في روضةٍ موشـــيةٍ خفّاقة الأغصان والأوفياء

وكأنّ غضّ الزهرِ في خُضر الرُبى زُهْرُ النجومِ تلوحُ بالخَضراء

وافترّ ثغرُ الأقحوانِ بمـــا رأى طرباً وقهقهَ منهُ جَريُ الماءِ.[1]

يبدأ الشاعر قصيدته بوصف روضة غناء تُبهر العيون بما اشتملت عليه من جمال آسر وألوان أخاذة، ثم يضفي على الطبيعة الصامتة حياة بشرية حين يلقي عليها صفة العشق، إذ يمنح الياسمين فماً يقبل الآس، ويجعل الورد بألوانه المتنوعة يحف النهر بزرقته الطاغية، ثم يستعمل الشاعر أدواته البلاغية في التشبيه، إذ يجمع بين صورتين مختلفتين، يستوحيهما من الطبيعة، فالأولى: (غض الزهر في خضر الربى)، والأخرى: (زهر النجوم تلوح بالخضراء) إذ يمزج الشاعر الصورتين ويداخل بعضها في بعض، لينتج مشهداً أثيراً محبباً إلى النفس اجتمعت للشاعر عدّة عناصر جعلته قادراً على المناورة بها، فاستعملها في تحريك الحدث كالرياح، والصوت، والصورة، فتفاعل المشهد طرباً، وقد ظهر المشهد

[1]: حافظ المغربي، دلالة اللون في الشعر الأندلسي، ص81.

واضحاً في أبعاده الثلاث؛ مما قرب الصورة ومكنها من أداء دورها، لاسيما وأنها تبث موجاتها اللونية الموحية بشكل جميل. وحظيت الرياض بالنصيب الأوفى من الوصف والتصوير في شعر ابن عمار الاندلسي" فتفاعل معها حتى ملكت عليه حواسه متحسساً مفاتنها وخفاياها، فإذا أراد الشاعر مدحاً نمقه بوصف الرياض كقوله في مدح المعتمد مشبهاً إياه بالروض الجميل:[1]

مــلكٌ يَروقُكَ خَلقُه أو خُلقُهُ كالروضِ يَحسنُ منظراً أو مَخبراً

أُعلمتُ بالإيمانِ حتى شِمتُهُ فَرأيتُهُ في بُردَتيهِ مصوراً

إذ استوحى الشاعر الطبيعة الأندلسية وما فيها من صور الرياض الخلابة والتي رفدت معاني المديح، فالشاعر يصف أخلاق الأمير وخلقه بالروض الحسن الذي يطيب النظر إليه والاستمتاع بجماله الذي يبعث الأمل والاطمئنان في نفس الشاعر. وقد تضمن هذا القول العديد من الألوان التي لم يصرح بها الشاعر بل دلّ عليها بقوله (كالروض) فذكر الكل وترك للمتلقي تخيل ما يرد على خاطره من الألوان والجمال والحسن[2].

ولعلّ أبيات " ابن عبد ربه"* في وصف إحدى رياض الأندلس قد تحكي لنا مدى براعة الشاعر

[1]: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 2000، ص60.

[2]: المرجع نفسه، ص60.

*: ابن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، (246 – 328هـ)، ولد في قرطبة ، وكان جده سالم مولىً للأمير هشام الرضا، نشأ في قرطبة وامتاز بسعة الاطّلاع في العلم والرواية والشعر، كتب الشعر في الصبابة والغزل ثم تاب وكتب أشعاراً في المواعظ والزهد سمّاها (الممحصات)، كان يتكسّب من الشعر بمدحه للأمراء، كان من الرواد في نشر فن الموشحات أعظم أعماله كتابه (العقد الفريد) الذي كان بمثابة موسوعة ثقافية تبين أحوال الحضارة الإسلامية في عصره. توفي ابن عبد ربه في 18 جمادي الأولى سنة 328هـ ودفن في قرطبة.

الأندلسي في وصف الطبيعة، ورسم صورها، وبثها أحاسيسه ؛ يقول:

وروضةٍ عقدَتْ أيدي الربيع بها نوراً بنورٍ وتزويجاً بتزويجِ

بملقحٍ من سواريها وملقحةٍ وناتجٍ من غواديها ومنتوج

فألبسَتْ حللَ الموشيّ زهرتَها وجلّلَتْها بأنمـاطِ الــديـابيجِ

ففي الأبيات السابقة نلحظ الألوان البديعية التي أسهمت في إثراء النص إيقاعياً ، إضافة إلى حرف الروي، وغلبة الكسرة والتنوين على أبياته ، فقد اختار حرف الجيم المكسور رويًّا لأبياته والجيم صوتٌ انفجاريٌ مجهور يتوافق هنا مع انفجار الحياة في هذه الروضة زمن الربيع زمن تفتح الحياة، لكنه نغم موشى بالحزن تمثل في كون الجهر مكسوراً، الأمر الذي يقوي إحساس الشاعر بالزوال ، وقد عبر عن هذا الإحساس بغلبة الكسرة على ألفاظه وبكثرة أناته التي أسمعنا التنوين صداها، فالشاعر حزين لأنه يخشى زوال هذا الجمال والبيئة والحياة المترفة ، وقد ظهر هذا التعلق بالبيئة الأندلسية عندما جعل الروضة والربيع يتزاوجان ويتشابكان بالأيدي، وهناك ولادة جديدة.[1]

وكل هذا فيه صور للأنسنة التي توجت شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي، فجمال الصورة عنده نابع من قدرته على بث الحياة والحركة في أوصالها، ومن قدرته على خلق التناغم الصوتي والحركي مما يكسب صورة عنصري التشخيص والإثارة، فاستطاع إضفاء الحياة على كلماته.[2]

[1]: ينظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، ص61.

[2]: حافظ المغربي، دلالة اللون في الشعر الأندلسي، ص60،60.

وفي موضع آخر يقول المالقي:*

ومشمولةٍ رقّت فلم ترضَ صاحباً لها غير مشمول النطاق رقيقِ

يفيضُ على كفّ المدير شعاعها كأنّ عليه منه درع خلوق

إذا شجّها بالماء حلّى كؤوسها بدُرٍّ فحلّت خدّه بعقيق

تمكّن الشاعر من تحريك هذه الطبيعة الصامتة، فأضفى عليها وحدات لونية غير صريحة، من ضياء، وسنا، وأزهار، وخمر ممزوجة بألوان الطبيعة، مما جعل المشهد حياً على الرغم من سكونه، إذ حرك في المتلقي المشاعر والأحاسيس النابضة بالحياة، والدفء والألفة.

وقد أفاض الشعراء في وصف المتنزهات التي انتشرت في ربوع الأندلس فلم تكن مدينة من مدنها تخلو من متنزه جميل، فاشتهرت اشبيلية بمتنزهاتها الجميلة كالعروس والسلطانية واشتهرت غرناطة بحور مؤمل ونجد، وازدانت قرطبة بفحص السرادق والمرج النضير وغيرها من المتنزهات.[1]

وقد أثرت هذه المتنزهات بشكل كبير في حياة الأندلسيين الذين كانوا يقضون أروع أوقاتهم يستمتعون بمناظرها الخلابة، ففي الليالي الصيفية الأندلسية وفي ساحات القصور المتألقة يتبادل الشعراء أحاديث مشوقة، ويتحاكون القصص في جو ممزوج برائحة الراح، إضافة إلى خرير المياه ووشوشة النوافير، وهذا

[1]: محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ط1، ليبيا، جامعة سبها، 2001، ص15.

*: أبو عبد الله محمد بن علي ابن عسكر الغَسّاني المالَقي يعرف عمومًا بابن عَسكَر، ولد في حدود سنة 584هـ 1188 /م في مالقة ونشأ فيها، عالم مسلم وكاتب عربي أندلسي. من أهل مالقة، توفي ابن عسكر هو يتولى قضاء مالقة في ظهر اليوم 4 جمادى الآخرة سنة 636/ 11 يناير 1239.

ما يخلق في نفوسهم روح الفن ويدفعهم للإبداع أكثر وتلحين أشعار غناء تشوق القارئ للعيش في هذه البلاد ، فقد اشتهر منتزه السد المتواجد بقرطبة الشهيرة، والذي عرف بسد النهر، والذي نال إعجاب الكثيرين من الشعراء فراحوا يصفونه، ومن بين هؤلاء ابن عمار الذي يقول:

وليل لنا بالسدِّ بين معاطفٍ من النّهرِ ينساب انسياب الأراقم

ويشير أبو القاسم عامر بن هاشم القرطبي إلى بعض المنتزهات القرطبية ومنها المصلى ووادي العقيق، والمرج النضير، ووادي الدير وغيرها، وفي هذا الشأن يقول:

مسارح كم بها سرحت من كمد قلبي وطرفي ولا سُلوان يُثنيني

بين المصلّى إلى وادي العقيق وما ينالُ مثل اسمه مُذ كان يبكيني

إلى الرُصافة فالموجِ النظير فوادي الديرِ كالعطف من بطحاءَ عبدونِ.[1]

وهكذا تأثرت حياة الأندلس بالمنتزهات إضافة إلى الشعراء الذين كانت ملجأهم حيث يلهون فيه ويعبرون عن كل ما يجيش في صدورهم، فأصبحت متنفسا لهم يخلعون عليها هموم الحياة وكدرها. وقد تغنى شعراء طليطلة وأبنائها بسحرها ورونق طبيعتها، ونالت إعجابهم فجعلوا أنهارها كالمجرة وغصونها كالنجوم، قال شاعرهم:

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضرة أنفسٍ ونعيم

الله زيــنه فوشّـــح خصره نهرُ المجرّةِ والغصونُ نجوم.

[1]: المرجع السابق، ص15.

فالشاعر يصف مدينة طليطلة حيث يرى بأنها مدينة رائعة تنعم بكل الخيرات والنعيم، وقد شبه هذه المدينة بالمرأة التي تضع الوشاح على خصرها. وهكذا نجد أن الشعراء الأندلسيين تباروا في وصف الطبيعة الصامتة حتى جعلوها تنبض بالحياة، وأضفوا عليها صفات الإنسان فأتت اشعارهم قمة في الجمال وغارقة في الإحساس والبهاء.

*** الطبيعة الحية (المتحركة):**

تعدّ الطبيعة الحية المتحركة، القسم الثاني من أقسام البيئة الطبيعية ويقصد بالطبيعة الحية ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ما عدا الإنسان، فالحيوانات على اختلاف أنواعها تشكل قيمة كبرى ترفد الصورة بفيض من الصفات فضلاً عن ذلك فإنها تبين مدى اهتمام الشعراء في رصد حركات الحيوانات وسكناتها والوقوف على طبائعها.[1]

ويعتمد الشاعر في أوصافه على دقة التعبير وصدق العاطفة، فتقترن الحقيقة بالوصف والتجسيد والصدق والإظهار، فالشاعر يؤمن بأن أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا.

وموقف الإنسان من الحيوان غريب منذ أقدم العصور فهو يستأنسه مرة، ويفتك بها أخرى للتغذي بلحومها، وكانت آثار تلك الغرابة تلوح جليه في آدابه وأساطيره وحكاياته، وتاريخ البشرية لا يخلو من النفوس الكريمة التي عاشت متعلقة بالحيوان أشد التعلق، وآداب الأمم حافلة بغرر النظم والنثر لصور الحيوانات التي أعانت الإنسان على ذليل كثير من مصاعب الحياة، ومنحته القدرة الفائقة على

[1]: محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ص16.

وصفها بالأوصاف التي خلدها في آثاره.

أتقن الشاعر الأندلسي وصف الحيوانات بصورة كبيرة، مدركا السمات التي تتميز بها والجزئيات التي يثبت من خلالها التفرد الذي تتمتع به، وأبرز الموضوعات التي تجسد شعر الطبيعة الحية، الخيل.

لعلّ الخيل من أهم مظاهر الطبيعة الحية المجسدة في الشعر العربي، إذ لا يكاد يخلو منها ديوان شعر، سواء أكان ذلك عرضاً، أم تعمداً، فانبرى الشعراء يصفون سرعتها، وقوتها وأصالتها، وألوانها وقد عقد " ابن قتيبة " في كتابه باباً لألوان الخيل، وهو يدّل على عظيم اهتمام العرب بها، وعنايتهم بصفاتها. تأتي أوصاف الخيل حين يصور الشعراء الحرب، وكيف أنها تلفت الأنظار وسط المعركة بمشيتها وألوانها، ناهيك عن ارتباطها بالممدوح وب (القيم والمثل التي يوحيها ذكرها ويومي إليها وجودها ممّا يتصل بالشرف والعزة والفخر والعُلى، وبذلك تأخذ الخيول بعداً آخر في شعرهم إلى جانب كونها أداة تنقل وحركة).

وقد أكثر شعراء الأندلس من وصف الخيل، إذ يأتي (ابن زمرك) و(لسان الدين بن الخطيب) و(ابن خفاجة) و(ابن حمديس) في مقدمة الشعراء الذين افتتنوا بالخيل.[1]

وأولوها عنايتهم فنعتوها بدقة، وشبهوها بتشبيهات حسنة، ووقفوا على الاختلاف اللوني لأشكالها، فكثيراً ما يعمد الشاعر إلى الاستعانة بالتشبيه وبالصور والأخيلة والألوان, ويستخدم الطبيعة كلها في

[1]: محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ص17.

سبيل توضيح فكرة, أو تثبيت لون في اللوحة الأصلية، من ذلك قول (ابن زمرك):[1]

من أشهب كالصبح يطلع غرة في مستهل العسكر الجزار

أو أدهم كالليل إلا أنه لم يرض بالجوزاء حلي عذارِ

أو أشعل راق العيون كأنه غلس يخالط شدفة بنهار

شهب وشقر في الطراد كأنها روض تفتح عن شقيق بهار

تتوافق الخيل التي وصفها الشاعر مع تحولات الظواهر الطبيعية المتكررة يومياً، فمنها الأشهب الذي يشبه الصبح المنير، وبياضه وسط أجواء المعركة الحالكة السواد، يجعله يبدو كالغرّة وسط ذاك المعترك. ومنها الأدهم كسواد الليل البهيم، إلا أنّه لا يرضى أن تكون الجوزاء حلي عذاره، في كناية عن طول أذنه ونحره وسالفته، وهي من الأوصاف المحمودة في الخيل. ويرسم صورة الفرس الأحمر الذي يحاكي الجمر اتقاداً وهمة.[2]

ويبرز من بين تلك الخيل, الأشقر الذي منحه سمة الجمال لانعكاس الضوء على جسمه واكتسابه الزهو لمشابهته لون الذهب، ثم يختتم وصفه بذكر الفرس الأشعل، وكأنه يتوهج سناً في العيون, وقد اختلطت الألوان فيه ما بين حمرة جسمه، والبياض الذي يزين ناصيته وذنبه.

وفي موضع آخر ينظم (ابن حمديس ت527هـ) قصيدة في ممدوح أهديت إليه مجموعة خيل والقصيدة

[1]: علي البطل، الصورة في الشعر الأندلسي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1988، ص99.
[2]: المرجع نفسه، ص99.

مكونة من (27) بيتا، إلا أن الشاعر يسترسل فيها بوصف هذه الخيل، فلا يبقي لممدوحه نصيباً من هذه المدحة، إلا (4) أبيات يختتم بها القصيدة, إذ يبدو أن الشاعر افتتن بجمال هذه الخيل, فنراه يفصل القول في ألوانها، ومشيتها، وسرعتها وأصواتها ويلقي عليها من التشبيهات الرائعة، التي تنم عن إحساس الشاعر بجمالية المنظر، الذي انعكس تأثيره على أبياته, فأشرك المتلقي بهذا الإحساس المكتنز بالجمال, إذ يقول[1]:

جاءتك أولاد الوجيه ولاحق فأرثك في الخلق ابتداع الخالق

وكأنّما حيّتْ عُلاكَ وجوهها فأسال فيها الصبحُ بيضَ طَرائق

وإذا الجلال تجردت عن جردها لبست غلالة كلّ لون رائق

ورد تميَّع فيه عندم حمرة كالورد أُهديَ في الرّبيع لناشقِ

وكأنّه وكأنَّ غزة وجههِ شفقٌ تألّق فيه مطلعُ شارِقِ

يصوّر الشاعر مجموعة الخيل تصويراً دقيقاً فاحصاً يحيط بصفات الخيل، ومكامن الجمال التي تأسر الألباب بهيمنتها على حيوية المشهد الشعري، ويبرز دور الطبيعة في التعبير عن المنحى الجمالي للقصيدة.

أشرك الشاعر المتلقي في أحاسيسه ومشاهدته لمنظر الطبيعة الحية، وأبان عن تأثير المفردة اللونية في خلق الصورة الشعرية " إذ بدخول اللون ينقلب كيان الصورة... فاللون هو كل شيء في بناء شعرية

[1]: محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ص99.

المقطع, ومن دونه أو باستبداله تفقد كل المفردات صفتها الشعرية وتتنازل عن عطائها الفني".

إنّ صياغة الشاعر لصورة الخيل بهذا الأسلوب الفني المتقن لرصد التفاصيل الدقيقة، لاسيما تنوع الألوان، يوجد في النفس تقبلاً ومحبة لهذه الخيل، إذ أفاد الشاعر من الطبيعة التي احتضنت الصورة بكل تجلياتها، ثم أبدع في جعل رؤيته لمشهد استعراض الخيل، رؤية مطلقة لا تتقيد بالزمان والمكان بل هي أنموذج يتمتع باستجابات حسية عالية يمكن أن تتكرر غير مرّة، لاسيما وأن الشاعر التقط من ألوان الخيل أهمّها.[1]

ومن الحيوانات الأخرى التي وصفها الشعراء الأندلسيون "الطيور"، و من ذلك قول (ابن زمرك ت797هـ) في قصيدة يصف فيها الطائر البازي، ثم يخلص منها إلى المدح:

أبدت لنا سبَجَ العيونِ وطوّقت أرجاءهَا بعقيقةٍ حمراءِ.

واستاقت الياقوت في منقارها ومشت على المرجان في استحياءِ

وَوشت يد الأقدار في أعطافها وشياً زرى بالحلة السيراء

ملك الطيور أتى إلى ملك الورى فاستاقها لمؤمّل الخلفاء

يتّخذ الشاعر من وصف هذا الطائر موضوعاً يدخل به على ممدوحه، فالطائر يمتلك عيوناً سوداء صافية كالسبج تحيط بها هالة حمراء اللون تشبه العقيق, وفي ذلك إشارة إلى اتقاد العيون وحدة نظرها, وهو ما يزين الطائر والممدوح. ثم يسترسل في ذكر الأوصاف التي تجمل المشهد, ويذكر أن

[1]: المرجع السابق، ص99،100.

جمالها لا تدانيه حتى الحلة السيراء بألوانها المتداخلة في حسن ولطافة.

وفي موضع آخر يصف ابن زمرك (ت 797هـ) حيوان الزرافة وصفاً دقيقاً يتناول من خلاله ما اتصفت به من شكل ولون ميزاها عن سائر الحيوانات, فيقول:[1]

موشية الأعطاف رائقة الحلي رقمت بدائعها يد الأقدار

راق العيون أديمها فكأنه روض تفتح عن شقيق بهار

ما بين مبيض وأصفر فاقع سال اللجين به خلال نضار

يحكي حدائق نرجس في شاهق تنساب فيه أراقم الأنهار

تتجلى الرؤية التي شخصها الشاعر في هذه الأبيات من خلال الوقوف على بديع الصنع الإلهي في تصوير هذا المخلوق الغريب على بيئة الأندلس. فأديم هذه الزرافة ممثل بروضة غناء زينها البهار الذي تدرجت ألوانه ما بين الأبيض والأصفر والأصفر الفاقع المنساب من الذهب والفضة، فهو يشبه خلقها وطولها بحدائق نرجس عالية تنحدر منها الأراقم بألوانها المختلفة.

وهكذا نجد أن الشاعر الأندلسي لا يخرج عن بيئته التي يألفها وتألفه فكلما وصف عنصراً من عناصر الطبيعة، جذبه المشهد إلى تعداد مشاهد أخرى لاسيما الرياض والأزهار والأنهار، ويقف على التداخل بين الطبيعة الصامتة والمتحركة، إذ كل منهما يدعم الآخر في إبراز الدلالة المتطلبة في التصوير الفني للمشهد الشعري .

[1]: المرجع السابق، ص112.

3. شعر الطبيعة الأندلسي.

امتاز شعر الطبيعة في الأندلس بعدد من الخصائص، تتمثل في:[1]

هو شعر يمثل تعلق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات، بعد أن كان هواهم متعلقا بصور الجزيرة العربية، فابن خفاجة مثلاً يتعلق بالأندلس ويراها جنة الخلد ويرى أن كل ما فيها جميل مطرب .ولابن زيدون وابن حمديس ولغيرهما من الشعراء مثل هذا التعلق ، وهذا الحب كما رأينا فيما تقدم.

هو شعر يصف طبيعة الأندلس الطبيعية والصناعية ، فشعراء الطبيعة يصفونها كما أبدعها الله في الحقول والرياض والأنهار والجبال والسماء والنجوم ، ويصفونها كما صورها الفن مجلوة في القصور والمساجد والبرك والأحواض فيكمل تذوقهم لجمال الطبيعة وتتضح ألوانها وأشكالها أمام نواظرهم فيزدادون لها حباً وبها تعلقاً، وهم كذلك قد أتوا على أوصاف جديدة للطبيعة الحية كما فعل ابن خفاجة في وصف الفرس والذئب[2].

وهو شعر يصف الأقاليم الطبيعية المختلفة لبلاد الأندلس ، فكان لبعض الأقاليم شعراؤها الذين اهتموا بوصف ديارهم. فابن زيدون يتغنى بقرطبة وزهرائها، وابن سفر المريني يصف إشبيلية وأبو

[1]: سراب جاسم محمد ياس، عمر السيد الطيب، الطبيعة في الشعر الأندلسي، جامعة العلوم الإنسانية والطبيعية، كلية التربية، جامعة السودان، مجلة علمية محكمة، 2022، ص630.

[2]: المرجع نفسه، ص630.

الحسن بن نزار يتعلق بوادي أشات فيصوره تصويرا ينم عن براعة بما يتركه في النفس من طراوة الندى والظل والشجر فيقول[1]:

وادي الأشات يهيجُ وجدِي كلّما أذكرت ما أفضت بك النعماءُ

لله ظِلُّك والــهجِير مسلَّــطٌ قــد بَرّدَت لـفحاتِهِ الأنـداءُ

وهكذا كان شعراء الأندلس يعبرون عن مشاهد طبيعية رأوها وعاشوا في رحابها وأحسوا بجمالها.

– الطبيعة عندهم طروب تبعث جو الطرب ، ووصفها يمثل الجوانب الضاحكة الندية منها وأكثر شعرهم في الطبيعة وصف لمتنزهاتهم ومجالس أنسهم ولهوهم في أحضانها.

– وصف الطبيعة عندهم متصل بالغزل والخمر ، وهو طريق إليهما، فشعراء الأندلس لا يذكرون الطبيعة إلا في رحاب الحب بل لا يذكرون الحب إلا في رحاب الطبيعة ، وهم بهذا يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال تقدمه ابن زيدون وابن حمديس وابن خفاجة وغيرهم على امتزاج الطبيعة بالغزل والخمر وما يقتضيه هذا الامتزاج من لهو وطرب، فغزل الأندلسيين إذن يهتم، إلى جانب وصف المحبوب بالمكان الذي ضم هذا المحبوب وهو

غالباً الطبيعة، بينما كان الغزل بالمشرق يهتم على الغالب بالوصف المادي وذكر الحوار واللقاء كما كان يفعل عمر بن أبي ربيعة وشعراء مدرسته ومن جاء بعده[2].

[1]: سراب جاسم محمد ياس، عمر السيد الطيب، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ص631.

[2]: المرجع نفسه، ص631.

– المرأة صورة من محاسن الطبيعة، والطبيعة تجد في المرأة ظلها وجمالها ، ولذا كانت الحبيبة ورود وجنة وشمساً وقد قال المقري عن شعراء الأندلس:" إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً ومن النرجس عيوناً ومن الآس أصداغا ومن السفرجل وداً ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز و سرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضاباً". وهكذا كانت العلاقة شديدة بين جمال المرأة وبين الطبيعة فلا تذكر المرأة إلا وتذكر معها الطبيعة.

– وشعرهم يعني بتشخيص الطبيعة وتصويرها على نحو إنساني تملؤه الحركة والنشاط كما في شعر ابن زيدون وابن خفاجة وغيرهما وكما فعل لسان الدين بن الخطيب" في موشحته التي عارض فيها موشحة ابن سهل والتي يقول مطلعها[1]:

جادك الغيث إذا الغيثُ هَمَى يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ

لمْ يَكُنْ وصلُكِ إلاّ حُلما في الكَرَى أو خِلسةَ المُخْتَلِسِ

ففي هذه الموشحة يجلّل الحيا الروض فتبسم ثغور الزهور، ويتناجي الماء والحصا فيغار الورد ويحمر حنقاً، ويتنبه الآس فيسرق السمع لفهم سر المناجاة. والشعر الأندلسي يقدم لنا لوحات أخرى تنم عن امتزاج الشاعر بالطبيعة وصدق عاطفته نحوها وتشخيصه لها حتى أصبحت لسان نجواه وخفقة قلبه.

– شعر الطبيعة عندهم لا يظهر كغرض مستقل إلا نادراً في بعض المقطوعات والقصائد وقد امتزج في

[1]: سراب جاسم محمد ياس، عمر السيد الطيب، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ص632.

أكثر الأغراض التي طرقها الشعراء الأندلسيون، وكان الغزل كما رأينا أكثر هذه الأغراض امتزاجاً بالطبيعة، إلا أن هذه الثنائية نراها أيضاً في المدح والرثاء والعتاب والفخر، فهذا ابن زيدون يصف خلائق أبي الوليد بن جهور بالروض الضاحك، فيقول:

لِلْجَهورِيّ أَبِي الوليدِ خَلاَئِقٌ كالرَّوضِ أَضحَكَهُ الغَمَامُ البَاكِي

وكذلك يمدح المعتمد على نعمه فيراها جنة يضلُّ فيها القريض:

أورَثَتِني نُعماكَ جنةَّ عَدْنٍ جَالَ في وصْفِهَا فَضَلَّ القريضُ

ثم يعاتب ابن زيدون صاحبه أبا حفص بن برد ويطلب منه أن يكون مثله دائم الوفاء فينظر إلى الطبيعة فيرى في الآس وديمومة اخضراره ما يريد أن يعبر عنه:

لا يكـنْ عهْـدك وَرداً إنَّ عَهدِي لكَ آس

وهكذا فذكر الطبيعة يمنح هذه الأغراض صفة أندلسية تتجلى في اقتناص المعاني من طبيعة الأندلس[1].

– كان لطبيعة الأندلس وما احتضنت من غزل ولهو وغناء أثر في اختراع قالب شعري جديد طبعته الأندلس بطابعها ألا وهو (الموشح) ذلك الفن الشعري المستحدث الذي غنى طبيعة الأندلس ولهوها وعاش في نعيم ظلالها وعبق ريحانها[2].

[1]: المرجع السابق، ص632.

[2]: سراب جاسم محمد ياس، عمر السيد الطيب، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ص632،633.

ونستنتج أن الشعراء قد استطاعوا أن يصفوا الطبيعة الأندلسية في كثير من الحالات، من خلال نفوسهم ولكنهم نظروا إليها على الغالب، نظرة مصور فبدت لعيونهم كثيرة الأصباغ والألوان وزينوها بصناعة لفظية وخيال بصري أنيق، ولم يستطيعوا أن يتجردوا من ماضي شعر الطبيعة وإن كانوا قد طبعوه أحياناً بطابعهم وأخضعوه لمقومات بيئتهم، ولئن استطاع بعضهم في عدد من القصائد أن يصف خلجات نفسه نحوها.

ونلحظ كذلك، شاعر الطبيعة الأندلسي، لحبه العميق للطبيعة يصورها ويزخرفها ببصره ويجسمها ويحملها بخياله ، فأجاد الصناعة، وبعد دراسة شعر الطبيعة نجد أن وصف الطبيعة في الأندلس كان شغفاً بمحاسنها وتصويراً حسياً لمباهجها.

الفصل الثاني

الطبيعة في نماذج من شعر ابن

1. السيرة الذاتية والعلمية للشاعر.

1.1. حياته:

تنقسم حياة ابن زيدون أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب المخزومي ، إلى حقبتين هامتين .الحقبة الأولى وتبدأ بولادته سنة 394 هـ / 1003م وتنتهي بقيام دولة بني جهور سنة 422 هـ /1031م أما الحقبة الثانية فهي التي عاشها في كنف بني جهور و بني عباد.

ولد في قرطبة ، زمن الدولة العامرية ، من قبيلة بني مخزوم القرشية التي جاء بعض رجالاتها مع الفتح الإسلامي ، فساندوا الحكم الأموي .كان والده قاضياً فقيها على المذهب المالكي واسع الثقافة غزير العلم ، مشهوراً بالبلاغة ، معروفاً بمكارم الأخلاق ، وكان على حظ وافرمن الثراء أتاح له ـ مع علمه وخلقه و فصاحته ـ أن يكون ذا شأن في بلده ، وكان معدودا في علّية القوم.[1]

وكلّ هذا انعكس على طفولة ابن زيدون، وإن كان قد تلقى حظاً وافراً من علوم عصره على يد علماء وفقهاء قرطبة. فدرس اللّغة، والأدب، والشّعر، والتّاريخ، والسّير... فساعده كلّ ذلك على ذيوع صيته وشهرته. حيث قرض الشّعر، و نبغ فيه، وهو في العشرين من عمره.

[1]: www.mawdou3.com، مريانا قمصية، الشاعر الأندلسي ابن زيدون، مقال الكتروني، اريخ النشر: 2020/01/07، تاريخ الزيارة: 2024/05/11، توقيت: 14:19.

2.1. بيئته السياسية:

لاشك أن ابن زيدون ، عايش فترة عصيبة في السياسة الأندلسية .إذ انتقل الحكم من الأمويين إلى ملوك الطوائف ، فمزّق أيّ ممزق بين زعماء و قادة ،كلّ استقل بإقليم جعل منه دولة وجيشاً و حدّد حدوداً ، و نظّم نظاماً ، ومن ذلك :

. الدّولة الزّيرية في غرناطة (403هـ / 483هـ) . (1011 م / 1089 م)

. الدولة الحمودية في قرطبة ومالقة (407 هـ / 450 هـ) . (1015 م / 1057 م)

. الدولة الهودية في سرقسطة (410 هـ / 536 هـ) . (1018 م / 1140 م)

و في ظرف عقدين من الزّمن ،كانت الأندلس قد جزّئت ، دويلات متناحرة . يتربص بها عدو مشترك، بل يفرض على بعضها الجزية وتعطيها في ذلّ وصغار ...وقد واكب ابن زيدون عملية الجزية، إذ كان عمره ثلاث عشْرة سنة، مع قيام الدولة الزيرية، وأصبح عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، مع قيام دولة ذي النّون، في طليطلة.

أمّا بنو عباد، فهم أيضاً عرب، أسّس دولتهم: أبو القاسم محمد بن عبّاد. الذي كان قاضياً بإشبيلية و استمرّت إلى عهد المعتمد بن عبّاد ، حيث قضى عليها المرابطون في عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن تاشفين .وفي خضم هذا الشّتات ، والتّمزيق ، والصّراعات ، والثّورات والفتن ،

والانقلابات السياسية ... التي أعقبت وفاة الحكم المستنصر ... وما تلا ذلك من صراع على السلطة بين دويلة وأخرى ، و فرق إثنية كالعرب ، و غير العرب ، و ا لمسلمين و غير المسلمين ، و البرابرة ، و الصقالبة و المولدين وغير المولدين...[1]

الشيء الذي جعل ابن زيدون ينغمس في عمق التيار ، فيجرفه بعيداً ، ليصبح طرفاً في الصراع . بلْ له الفضل في الثّورة على الأمويين ، وقد أفلّ نجمهم . و معاضدة الثائرين ، من بني جهور ، و بني عباد ، و قد شعّ بريقهم ، و خفقتْ بيارقهم . و لكنّ دروب السياسة وعرة ، و غير آمنة . فلقد قادت ابن زيدون إلى الوزارة في عهد أبي الحزم بن جهور ، جزاء ما قدمه للدولة الفتية . و لكن الأحداث و الوشاة ، ساقت ابن زيدون إلى غياهب السّجن ، بتهمة التآمر على النظام ... وقدْ تمكن من الفرار ، و هام على وجهه ، يختفي هنا و هناك.إلى أن مات أبو الحزم ، وخلفه ابنه الوليد ، فظفر عنده بأعلى مكانة . إلا أن أيام السعد لم تدم طويلاً .إذ أحسّ أنّ الوشاة ـ ومن جديد ـ قد أفسدوا ما كان بينه و بين الوليد . ففرّ إلى ا لمعتمد بإشبيلية ، ولازمه غير أن الوشاة أعادوا الكرّة ـ حسداً ـ ولكنّهم لم يفلحوا . و لما مات المعتمد ، أعادوا أساليب الوشاية ـ حقداً وضغينة ـ لما أصبح يتمتع به من حظوة عند ا لمعتمد بن عباد .[2]

[1]: المرجع السابق.

[2]: جمعة شيخة، عصر ابن زيدون، عدنان للإبداع الشعري، 2004، د.ط، الكويت، ص24.

غير أن هذا الأخير لم يعبأ بهم ، بل وقرعهم أشد تقريع .و مكث ابن زيدون في رفقة المعتمد ، ونار الحسد متأججة حوله حتى أدركته الوفاة ، وهو في مهمة في إشبيلية ، لتهدئة الأوضاع هناك . فقام بها أحسن قيام ، رغم المرض ، و الحمّى ... و هو يدرك أن حساده ، هم الذين أوزعوا للمعتمد إرساله إلى إشبيلية، قصد إبعاده . فلم يرحموا شيخوخته ، و مرضه ، ولم يكن ليخالف للمعتمد طلبا . فاشتدت به الحمى ، وأنهكه السّقم ، فمات في الخامس عشرة من رجب سنة ثلاث و ستين و أربعمائة هجرية . فحزن لموته أهل إشبيلية ، و دفن فيها .

ولما وصل نعيه إلى قرطبة ، عمّها حزن شديد... ورغم ذلك :"سوف يظل ابن زيدون من قبل ، ومن بعد ، من الجديد الذي لا يبلى ، و الغصن الذي لا يذبل".[1]

3.1. بيئته الاجتماعية:

إنَّ المجتمع الأندلسي على عهد ابن زيدون ،كان خليطا من الأجناس ، و الإثنيات التي تشكل فسيفساء غير متجانسة . رغم كل المحاولات اليائسة في جعل المجتمع الأندلسي ، ينصهر في بوتقة واحدة .فمنهم العرب الوافدون مع موسى بن نصير ، و ما تلاه من وفود الفتح القادمة من المشرق العربي . و كانت لهم سلطة الحكم ، وحظوة الاقتصاد و ا لمال . و هناك الأسالمة ، و هم الأسبان

[1]: المرجع السابق، ص24.

الذين أسلموا ، إمّا عن اقتناع ، أو مدارات للمسلمين ، حتى يحافظوا على مصالحهم . ثم هناك المولدون ، و هم من ولدوا لأباء من الأسبان ، وكانوا جميعاً يشتغلون بالزّراعة ، و التّجارة ، و الصّناعة. أمّا العرب أو غير العرب ، فكانت تستقطبهم مهنة الطب ، و الصيدلة ، والمعاملات المالية . ثم هناك الصقالبة ، و هم أجناس غير إسبانية كالإطاليين والجرمانيين ، و الفرنسيين ، و غيرهم من جزر ا لبحر الأبيض المتوسط .[1]

كانت لهم مراكز هامة في المجتمع و السياسة و الجيش ... و كان لهم دور بارز في تدبير ا لمؤامرات و الانقلابات ، ثم هناك الأمازيغ ، من شمال إفريقيا الذين دخلوا الأندلس مع الفاتحين العرب وكانوا يشكلون الأكثرية من ا لمسلمين .و لعلّ هذا التجمع من الأجناس المختلفة و ما شاع بينهم من زواج و اختلاط أفرز عدة معطيات : كاللّهو، والمجون ، و الغناء و الاهتمام بالفتنة والتأنق والجمال والاهتمام بالعمارة والصناعة ، والزراعة و كثرة الجواري و القيان ، و كثرة الشّراب وتحرر المرأة والتّسامح والبعد عن التّعصب و الاعتناء بالنّظافة والأزياء والموسيقى.

4.1. بيئته الفكرية و الأدبية :

رغم أن عصر ملوك الطوائف ،كان عصر صراعات و اقتتال . فإنه أيضاً ،كان عصر علم وفكر،

[1]: جمعة شيخة، عصر ابن زيدون.

و أدب . إذ كان يتوافد على إسبانيا المسلمة طلبة من مختلف الأصقاع الأوروبية لدراسة فكر أرسطو باللّغة العربية . في حين كان معظم الناس في الأندلس يقرؤون ، ويكتبون ، على عكس غيرهم في أوروبا ، حيث كان ظلام الجهل ، جاثماً منتشراً...

فقد اعتنى الأندلسيون ببناء المساجد ، و كانت للعبادة و الدرس و التّحصيل .كما اهتموا بتعليم البنات ، والبنين ، فشادوا المدارس ، والمعاهد. فحسبنا ـ في ذلك العهد ـ أن قرطبة كانت تضم ثمانين مدرسة عامّة[1].

ولقد اهتم الأندلسيون بعلوم الدين، اهتماماً بالغاً ،كما اهتموا بعلوم اللّغة ، و ضروب الأدب . و انصرف بعضهم إلى الطب و الفلك ، و الهندسة .و برعوا في تلك الميادين ، و آثارهم تدل على ذلك ... و إنْ كان اهتمامهم بالفلسفة ضئيلاً . لما حيك حول الفلسفة و الفلاسفة من شبهات ، أدت إلى إحراق كتبهم . غير أن ذلك لم يدمْ طويلا . إذ شهد عهد ملوك الطوائف ، و ما تلاه ، بوادر الاهتمام بالفلسفة .

و قد برز من أعلام هذا العصر ، ابن حزم المتوفى 456 هـ و الذي بلغت مؤلفاته أربعمائة مجلد:في الفقه ، و الحديث ، و الجدل ، و النسب ، و المنطق ،و الفلسفة، و الشعر... ومن أشهر كتبه :

[1]: جمعة شيخة، عصر ابن زيدون، ص27.

طوق الحمامة ، و الفصل في الملل و النحل . و من أعلام العصر أيضاً ، ابن سيده المتوفى سنة 458 هـ صاحب المخصص و المحكم . و من المؤرخين ابن حيان ، المتوفى سنة 469 هـ و من كتبه : المبين (في ستين مجلدا) . و من أشهر الأدباء : المظفر بن الأفطس ، حاكم بطليوس المتوفى سنة 460 هـ و كتابه المظفري (في خمسين مجلدا).[1]

أما في الطب ، فقد نبغ الزهراوي المتوفى سنة 500 هـ و كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف ، الذي ظل مرجعاً لأوروبا منذ أن ترجم للاتينية في القرن الخامس عشر . و من كتاب التراجم ، ابن بسام ، و كتابه الذخيرة . و من العلماء ابن بشكوان ، وكتابه الصلة ، و ابن الأبار ، و كتابه التكملة ... هذا فضلاً عن العناية بالمكتبات الخاصة ، و اقتناء الكتب من مختلف الأصقاع ، و الاهتمام بالمكتبات العامة التي أنشأها الخلفاء الأمويون لعامة الناس . فقد أنشأ الحكم مكتبة في قرطبة،عدد كتبها أربعمائة ألف مجلد وكتاب ، و يقال إنّ في غرناطة وحدها كانت سبعون مكتبة . و قد ألف الأندلسيون الأدباء ، التقليد ، و المحافظة ، ردحاً من الزمن .

غير أنّهم في عصر ملوك الطوائف بدءوا يتحررون قليلاً من ذلك .ظهر في شعرهم و نثرهم ... ولم تعد تلك الصّلة الوطيدة بالمشرق العربي ، إذ عمدوا إلى الخلق و الإبتكار و التّجديد فنظموا الأراجيز

[1]: جمعة شيخة، عصر ابن زيدون، ص27،28.

التاريخية ، و الأدب القصصي ، و الموشحات ، و الرحلة الخيالية ، (التوابع والزوابع) لابن شهيد ، و الأزجال ، و وصف الطبيعة ، الذي اشتهر به الكثير مثل ابن زيدون ، وابن خفاجة ، وابن حمديس ...

و قد استفاد ابن زيدون من أعلام عصره ، إذ تتلمذ في الفقه على يد والده ، القاضي أبي بكر عبد الله ، و لما مات ، و ابن زيدون في سنته الحادية عشر' كفله جده لأمه ، القاضي أبو بكر فعلّمه من علمه الشّيء الكثير . وأخذ اللّغة ، و الأدب على يد أبي العباس بن ذكوان ، و أبي بكر أفلح ... حتى أمسى شاعر الأندلس ، بفضل علمه ودراسته ، و موهبته و اجتهاده

5.1. علاقة ابن زيدون العاطفية[1]:

إنّ ابن زيدوه عاش قصة حبّ فريدة ، شحذت خياله الفني ، و أثرت في إبداعه و خياله و شعره . لقد شغف حباً بولادة بنت المستكفي ، آخر خلفاء بني أمية في قرطبة .كانت أديبة شاعرة . لها ناد لرواد العلم ، و الأدب ، وكانت على حظ كبير من الجمال ...فكتب عنها أجمل القصائد . قال غراسية غوميس في القصيدة النونية لابن زيدون بأنها : ((أجمل قصيدة حب نظمها الأندلسيون

[1]: خير الدين الزركلي، ديوان ابن زيدون، دار العلم للملايين، 2002، د.ت، ص55.

المسلمون ، وغرة من غرر الأدب العربي كله)) و يقول صاحب (الدر ا لمنثور ...) عن ولادة بأنها (كانت نهاية في الأدب و الظرف ، و كان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، و فناؤها ملعباً لجياد النظم و النثر . و قيل إنها في المغرب كعلية ابنة المهدي العباسي بالمشرق . إلا أنّ ولادة تزيد بمزية الحسن ، وأمّا الأدب و الشّعر و النّوادر و خفّة الرّوح فلمْ تكن تقصر عنها ، وكانت لها صنعة في الغناء ، و لها نوادر كثيرة مع الأدباء و الشعراء .))[1]

فحين تقرب منها ابن زيدون بادلته حباً بحب ، قبل أن يظهر ابن عبدوس في حياتهما ، إذ استطاع أن يستولي على قلب ولادة ، مستغلاً ظروفاً سياسية ، شارك فيها ابن زيدون مع ابن جهور ضدّ خلافة بني أمية المهترئة ، الشيء الذي جعل ولادة تميل إلى ابن عبدوس . الذي لم تجد فيه ما كان لها في ابن زيدون .ولكن ، كلّ ذلك ترك أثراً عميقاً في نفس ابن زيدون . تبلور في شكل قصائد عتاب و لوم ... و تذكير بما مضى...

6.1. ديوان ابن زيدون :[2]

لابن زيدون ديوان كبير ، اهتم له العلماء و الأدباء اهتماماً خاصاً . لما وجدوا فيه من انعكاس

[1]: المرجع السابق، ص56.

[2]: صلاح الدين محمد، ابن زيدون شاعر الأندلس وأديبها، مقال الكتروني، تاريخ النشر: 2019/11/20، تاريخ الزيارة: 2024/05/20، توقيت:17:12.

خالص للحياة في الأندلس أيام ملوك الطوائف . ولحسن الطالع وُجدت للديوان عدة مخطوطات، سواء في دار الكتب المصرية ، أو في المكتبة التيمورية ، أوفي المكتبة الأزهرية . و قد قام المستشرق هيرت hirtسنة 1777 بنشر قصائد منه كما قام المستشرق أوغوست كور A. Cour ، بنشر مجموعة من القصائد سنة 1920 وفي سنة 1932 طبعت شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ديوان ابن زيدون طبعته الأولى وقد حققها وشرحها كامل كيلاني و عبدالرحمن خليفة وفي سنة 1951 طبع الديوان في بيروت بتحقيق وشرح كرم البستاني

في سنة 1957 ظهرت طبعته الجيدة ، وهي بتحقيق وشرح الأستاذ علي عبد العظيم . و في سنة 1965 ظهرت في مصر أيضاً طبعة أخرى للديوان بتحقيق وشرح الأستاذ محمد سيد كيلاني ثم ظهر الديوان بحلة جديدة ، بتحقيق الأستاذ حنا الفاخوري سنة 1410هـ/ 1990 م عن دار الجيل ببيروت . وفي سنة 1996 ظهرت طبعة جديدة بدار الفكر العربي ببيروت شرح و تحقيق الأستاذ عباس إبراهيم . وفي سلسلة (شعراؤنا) ظهرت طبعة بشرح الدكتور يوسف فرحات، عن دار الكتاب العربي. [1]

و لقد تبين أن الديوان ـ من خلال شروحه و عمليات تحقيقه ـ لم يصل سالماً من التّحريف . إذ ورد

[1]: المرجع السابق.

في مقدمة (ديوان ابن زيدون رسائله ، أخباره ،شعر الملكين) ما يلي : ((ولقد كنا نقرأ القصيدة مرات ، و كأننا ـ لشدة ما فيها من تحريف و اضطراب ـ أمام طلسم غامض لا سبيل إلى حلّه ... و ما نزعم أننا قد برأنا هذا الديوان من كلّ عيب ، و نزهناه من كلّ تحريف،و لكننا نجرؤ ونزعم أننا لم نأل جهداً في تبرئته من كلّ عيب.و تنزيهه عن كلّ تحريف)) ثم يأتي المحققان بأمثلة للتحريف .

وتكملة بعض الأبيات الناقصة بما يلائمها . و قد فعل ذلك أيضاً الأستاذ علي عبد العظيم في تحقيقه للديوان ، إذ يقول : ((أما الديوان فليس عندنا ما يثبت أنه جمعه بنفسه ، أو أنّ أحداً جمعه في عصره . و إنْ كان أوغوست كور A COURيذكر أنَّ معاصري الشاعر جمعوا ديوانه ، و بخاصة ابن حيان ... ولم نجد في المراجع التي عنيت بتسجيل الكتب أي إشارة إلى الديوان .و أول خبر يصلنا عن ديوان الشّاعر ما ذكره ابن نباتة المتوفى سنة 768 هـ من أنّه وقف على ديوان شعر لابن زيدون و على كثير من ترسله)) . [1]

[1]: صلاح الدين محمد، ابن زيدون شاعر الأندلس وأديبها.

2. الطبيعة في شعر ابن زيدون.

تمهيد:

تتوفر الرقعة الجغرافية ببلاد الأندلس على جمال ثري ومتنوع ساحر به من البهاء والصفاء ما يسلب الألباب ويفتنها، وبه من المظاهر الطبيعية، فانعكست مشاهد الأندلس وصورها إيجابا وابداعا في مختلف أشعار الشعراء.

وهنا تشكلت لوحة فنية ناطقة بلون فني وشعري اتخذ ملامحه من الطبيعة الغناء وتمازجت التجربة الذاتية للشاعر مع الطبيعة الغناء لتنتج لنا في نهاية المطاف شعر وصف الطبيعة الذي شاع وازدهر في هذه المرحبة من فترة الحضارة الإسلامية على وجه التحديد.

وقد شاع هذا الفن لدى الأندلسيين وتوسعوا فيه، كما يقول إحسان عباس:" يدخل في تركيب جميع فنونهم الشعرية الأخرى وفي شتى الأغراض حتى تلك المجالات التي لا تسح طبيعتها لمثل هذه الصور والألوان الشعرية مثل الرثاء وغير ذلك، وقد بلغ ولعهم بالطبيعة والاستعانة بها في أغراضهم الشعرية حدا يصعب على القارئ أن يدري إذا كان الشعراء يتحدثون عن الطبيعة أم كانت الطبيعة تتحدث عنهم لفرط ما تغلغلت في نفوسهم ولكثرة ما وصفوا من مناظرها".[1]

[1]: إحسان عباس، دراسات في الأدب الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978، ص87.

ويقول الدكتور جودت الركابي:" إن شعر الطبيعة هو الشعر الذي الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالا خيال الشاعر، وتتمثل فيه نفسه المرهفة وحبه لها واستغراقه بمفاتنها".[1]

وعن شعر الطبيعة يؤكد جودت الركابي على أنّه:" تعبير جديد في أدبين جاءنا ن الآداب الغربية...وكان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر.....والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفية يحبونها لما تمنحه من جمال لحسّهم وهدوء لنفسهم، فيستسلمون إليها ويشاطرونه المناجاة ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم".[2]

1.2. وصف الأزهار:

أخذت الطبيعة بمتلكاتها الجمالية المتمثلة في الأزهار نصيبا لا يستهان في أعمال ومواضيع الشعر لدى الأندلسيين، إذ كانت الأزهار مرتعا لخيال الشعر وأسيرا لقلمهم الإبداعي الشعري.

" إن الطبيعة توحي للشعراء في كل عصر بكثير من المعاني والآثار الأدبية الرائعة وقد افتتن بها الشعراء وصوروها صورا تجمع غالبا بين صدق الأداء وبراعة الوصف".[3]

---

[1]: جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ط2، دار المعارف، مصر، 1988، ص98.

[2]: ينظر: المرجع نفسه، ص89.

[3]: شلبي سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر، 1978، ص122.

"كانت الطبيعة أهم ما جذب الشعراء فأكثر الأندلسيون في وصف الأزهار فوصفوا كل من الورد والنرجس النيلوفر والياسمين والقرنفل وغيرها مما وقعت عليه عيونهم".[1]

وقد هام ابن زيدون وافتتن بوصف الزهريات وجعل منها لوحات فنية جذابة فمزج بين وصف الزهر والأغراض الأخرى من إهداء وغزل، ومدح:[2]

أدِرْهَا؟ فَقَدْ حَسُنَ المَجْلِسُ وَقَدْ آنَ أنْ تُتْرَعَ الأَكْؤسُ

ولا بَأْسَ، إنْ كانَ ولّى الرّبيعُ إذَا لَمْ تجدْ فقدهُ الأَنْفُسُ

فَإنّ خِلالَ أبي عَامرٍ بِها يَخْضُرُ الوَرْدُ والنَّرجِسُ

ويتخذ ابن زيدون من صورة الورد الصورة التي تريح النفس المتعبة، فيقول:[3]

فَمَا لَكَ لا تَختَّصني بِشَفاعَةٍ يَلوحُ عَلى دَهري لِميسَمِها عَلطُ

يَقِي بنَسيمِ العَنبَرِ الوَرِد نَفْحُها إذا شَعشعَ المِسكَ الأَحَمَّ بِهِ خَلطُ

[1]: www.factorypdf.com

[2]: حنا الفاخوري، ديوان ابن زيدون6، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص130

[3]: ينظر: المرجع نفسه، ص131.

هذه الأبيات قالها بعد فراره من السجن وإقامته بقرطبة فهو يتأمل من ابن جهور أن يشفع له شفاعة يفوح عطرها كما يفوح العطر المكون من العنبر الوردي الأحمر، إذا امتزج (شعشع) مع المسك الأسود (الأحم).[1]

2.2.وصف الرياض:

وتكمن مواطن وصف وتوظيف لفظة الرياض في شعر ابن زيدون، فيما يلي:[2]

إنّي ذَكَرْتُكِ بالزَهراءَ مُشتاقاً وَالأُفقُ طَلْقٌ وَمَرأى الأَرضِ قَد راقاَ

وَلِلنَّسيمِ اِعتِلالٌ في أَصائِلِهِ كَأَنَّهُ رَقَّ لي فاعتَلَّ إشفاقا

وَالرَوضُ عَن مائِهِ الفِضِيّ مُبْتَسِمٌ كَمَا شَقَقتَ عَنِ اللَبّاتِ أطواقا

يَومٌ كَأَيَّامِ لَذّاتٍ لَنا انصَرَمت بِتنا لَها حينَ نامَ الدَّهرُ سُرّاقا

نَلهُو بِما يَسْتَميلُ العَيْنَ مِن زَهَرٍ جَالَ النَّدى فيه حَتَّى مالَ أعناقا

كَأَنَّ أَعيُنَهُ إذ عايَنَت أَرَقي بَكَت لِما بي فَجالَ الدَمعُ رَقراقا

وَردٌ تَأَلَّقَ في ضَاحي مَنابِتِهِ فَازدَادَ مِنهُ الضُحى في العَينِ إِشراقَا

طَـلْـقٌ بَـهـيٌّ جَميـلٌ رَاقَـا أعجب الناظِـرُ وسَرّهُ

[1]: ضيف الله الصافي، الرومانسية في شعر ابن زيدون، مجلة مقاربات، ع5، المجلد 3، 2015، ص200.

[2]: حنا الفاخوري، ديوان ابن زيدون، مرجع سابق، ص145.

ونستنتج من خلال هذا التوظيف لمصطلحات تتعلق بالطبيعة ويصف حالته النفسية البائسة لها ويبثها كل آلامه وحزنه، يشاركها حينا ويعبر من خلالها إلى ذكرياته الماضية حينا آخر.

3.2.وصف المياه:

يظهر أثر وأهمية الماء عند أغلب الشعراء الأندلسيين وعلى وجه الخصوص عند " ابن زيدون"، وذلك من خلال توظيفه في أعماله الشعرية وبصور مختلفة من مفردات متعلقة بالماء، ليبدع قائلا:[1]

حِينَ نَغْدو إلى جَدَاوِلَ زُرقِ يَتَغَلغَلْنَ في حَدائِقَ خُضرِ

في هِضابٍ مَجلُوَّةِ الحُسنِ حُمرٍ وَبَوادٍ مَصقولَةِ النَبَتِ عُفرِ

نَتَعاطى الشَمولَ مُذهَبَةَ السِر بالِ والجَوُّ في مَطارِفَ غُبرِ

ومرّدُ توظيف هذه الأبيات من طرف " ابن زيدون " هو ذكرياته لمجالس اللهو التي كان يعقدها ورفاقه بقرطبة، فصاغ ذلك كله شعرا يصف فيه تلك الجداول ويتحدث عن بهائها وصفائها وألوانها البهية والصافية التي ترمز للهدوء والتأمل والسكينة والراحة وجال العيش.

وعن وصف نزول المطر على شاط النهر، يطربنا قائلا:

كَأَنَّ عَشِيّ القَطرِ في شاطئ النَهرِ وقد زهَرَتْ فِيهِ الأَزاهِرُ كَالزَهرِ

[1]: ينظر: حنا الفاخوري، ديوان ابن زيدون، المرجع السابق، ص148.

تُرشُّ بِماءِ الوَردِ رشّاً وَتَنثَنِي لِتَغليفِ أَفواهٍ بِطَيّبةِ الخَمرِ

ولا يخلو في وصفه بالماء محبوبته "ولادة"، فيقول عنها واصفا إيّاها:

هِـــيَ المَاءُ يَـأْبَى عَلى قَابِضٍ ويَمنعُ زُبدَتَهُ مَن مَخَض.[1]

[1]: ينظر: ديوان ابن زيدون، تح: علي عبد العظيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص143.

خاتمة

نستنتج في نهاية بحثنا جملة من النقاط ولعل من أهمها ما يلي:

1. الشعر هو اللون الفني السائد في الحضارة العربية وكذلك نلحظ انتشاره في بلاد الأندلس بشكل وهو هنا يحمل طبيعة خاصة تتجلى في أثر الطبيعة الأندلسية وموقعها الجغرافي في موضوعات شعرائها والتغني بها في الحل والترحال.
2. الطبيعة الساحرة في بلاد الأندلس والتي عاصرها الشعراء آنذاك أثرت بشكل كبير على الشعراء ومواضيع شعرهم التي كانت الطبيعة أساسها.
3. الطبيعة الأندلسية خلقت جوا رومانسيا ذو وصف مميز يجمع بين الشاعر وذاته الفنية في قالب رومانسي جذاب.
4. وصف الطبيعة هو من علامة من علامات الشعر الأندلسي والذي هو نتاج أدبي يربط بين الوصف والطبيعة شهد ميلاده في أحضان الرقعة الأندلسية.
5. يتميز شعر ابن زيدون والشعر الأندلسي عموما في تلك العلاقة المميزة القائمة بين الشعر والطبيعة والتي تظهر جليّا في مواضيع هذا العصر شكلا ومضمونا.
6. تتميز الطبيعة بأنّها كانت الحاضر في قلم وابداع الشعراء الأندلسيين، وبمعنى أدق نقصد أن الطبيعة أرست لأن تكون كمصطلح قائم بذاته في الشعر الأندلسي.

7. ابن زيدون الشاعر الأندلسي الذي اتخذ من الطبيعة الأندلسية والتفاعل معها سبيلا للحب، وتكهن قلب المحب بالاستعانة بصورها وقاموس ألفاظها خاصة في غرض الغزل، ومشاطرتها لهمومه ومشاعره.

8. التصوير الإبداعي الفني والجمالي له أثره الواضح والبيّن في مختلف أعمال ابن زيدون الابداعية والمتمثلة في الطبيعة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر.

1. ديوان ابن زيدون، تح: علي عبد العظيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2000

ثالثا: الكتب والمراجع.

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1999.

2. أبو العباس ابن شكيل الأندلسي، شعره، تقديم وتحقيق: قارة حياة، المجمع الثقافي للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2001.

3. إحسان عباس، دراسات في الأدب الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1978.

4. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج3، دار الفكر، د.ط، د.ت.

5. إيليا الحاوي، سرح ديوان البحتري، الشركة العالمية للكتاب، ج1، بيروت، لبنان، ط3.

6. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

7. جمعة شيخة، عصر ابن زيدون، عدنان للإبداع الشعري، 2004، د.ط، الكويت.

8. جودت الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

9. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ط2، دار المعارف، مصر، 1988.

10.حافظ المغربي، دلالة اللون في الشعر الأندلسي، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2002.

11. حنا الفاخوري، ديوان ابن زيدون6، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

12. خير الدين الزركلي، ديوان ابن زيدون، دار العلم للملايين، 2002، د.ت.

13. شلبي سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر، 1978.

14. عبد الملك بومنجل، المصطلحات المحورية في النقد العربي بين جاذبية المعنى وإغراء الحداثة، منشورات مخبر الثقافة العربية في الأدب ونقده، سطيف، ط1، د.ت.

15. علي البطل، الصورة في الشعر الأندلسي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1988.

16. فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2009.

17. محمد بين أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

18. محمد سعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ط1، ليبيا، جامعة سبها، 2001.

19. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

20. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 2000.

21. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر، ج1.

رابعا: المجلات العلمية.

1. سراب جاسم محمد ياس، عمر السيد الطيب، الطبيعة في الشعر الأندلسي، جامعة العلوم الإنسانية والطبيعية، كلية التربية، جامعة السودان، مجلة علمية محكمة، 2022.

2. ضيف الله الصافي، الرومانسية في شعر ابن زيدون، مجلة مقاربات، ع5، المجلد 3، 2015.

3. عبد الخالق بوراس، الشعر العربي القديم في أفق الرؤية في النقد العربي الحديث ومساءلة الوعي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد4، ع4، ديسمبر2021، جامعة تبسة.

4. مريم بن عياش، مفهوم الشعر في كتاب "مقدمة للشعر العربي" لأدونيس دراسة مصطلحية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد2، ع2، 2020، جامعة الوادي.

خامسا: المواقع والمقالات الالكترونية.

1. صلاح الدين محمد، ابن زيدون شاعر الأندلس وأديبها، مقال الكتروني، تاريخ النشر: 2019/11/20، تاريخ الزيارة: 2024/05/20.

2. مريانا قمصية، الشاعر الأندلسي ابن زيدون، مقال الكتروني، اريخ النشر: 2020/01/07، تاريخ الزيارة: 2024/05/11.

www.elmarefa.com

www.factorypdf.com

www.mawdou3.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الواجهة

شكر وتقدير

إهداء

مـقـدمـــة:.....أ

الفصل الأول: الطبيعة في الشعر الأندلسي

تمهيد:.....5

1. مفهوم الشعر في التراث العربي. 6

2. مفهوم شعر الطبيعة. 15

3. شعر الطبيعة الأندلسي. 35

الفصل الثاني: الطبيعة في نماذج من شعر ابن زيدون.

1. السيرة الذاتية والعلمية للشاعر..... 41

2. الطبيعة في شعر ابن زيدون. 52

خاتمة:.....53

قائمة المصادر والمراجع..... 53

الملخص

ملخص الدراسة:

يُعرف المجتمع الأندلسي على أنّه ذاك المجتمع الذي كان يحيا في كنف حضارة عالمية ذاع صيتها مشارق الأرض ومغاربها، وكانت الطبيعة مصدر إلهام وانبهار لشتى الوافدين إليها وشكلت منبع ثريا ألهمت الشعراء وعلى اختلاف أقلامهم الإبداعية.

وابن زيدون شاعر أندلسي ينتمي لهذه البيئة المميزة دينيا وعلميا وحضاريا وصاحبه عديد التغييرات على مستوى موضوعات الشعر بحيث أثر التجديد واتخذ من الطبيعة فنا إبداعيا يعبّر به ويتغنى بها في شتى مواضيعه الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة، ابن زيدون، الشعر الأندلسي.

Summary:

Andalusian society is known as that society that lived within the confines of a global civilization that spread its fame from the east and west of the earth. Nature was a source of inspiration and fascination for all who came to it and constituted a rich source that inspired poets of all different creative pens.

Ibn Zaydun is an Andalusian poet who belongs to this distinctive environment religiously, scientifically, and culturally. He was accompanied by many changes at the level of poetry topics, such that he influenced innovation and took nature as a creative art through which he expresses and sings about it in his various poetic topics.

Keywords: nature, Ibn Zaydun, Andalusian poetry